جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

التنوع والتشاكل في قرائن القرآن من الإعجاز البياني في سورة "الحاقة"

إعداد
د/ محمد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي
أستاذ البلاغة والنقد المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة جازان

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. أكتوبر)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية - محكمة - نصف سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

التنوع والتشاكل في قرائن القرآن من الإعجاز البياني في سورة "الحاقة"

محمد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي
قسم البلاغة والنقد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: Melhamzawy2015@gmail.com

الملخص:
يتجه البحث لدراسة أفق من آفاق الإعجاز في نظم القرآن، وهو أفق يتصل بقرائن القرآن، أي جمله وفقراته، وما تشتمل عليه في جانبها «العددي»، أي «عدد الكلمات»، تشاكلًا، وامتدادًا، وانحصارًا، وبيان الارتباط بينها وبين فواصلها التي تتماثل، أو تتوازن، أو تتوازى، أو تتغاير فيما بينها وبين هذه القرائن؛ حتى يتم الالتقاء بينهما في نسق عجيب وفريد، مع اختلاف آفاق ذلك التنوع والتشاكل في السورة الواحدة بصورة يحكمها التناسب مع المعنى، والتلاؤم في النظم... وقد طبق البحث هذه الفكرة على سورة "الحاقة"، مبينًا بعض الدقائق البلاغية الكامنة وراء التشاكل والتنوع السابق فيها، كما أشار البحث إلى جهود البلاغيين في هذا الجانب، مع رؤيته أنها ركزت على الملحظ العددي لكلمات الجمل من حيث القصر والطول والتساوي، دون النظر فيما وراء ذلك من دقائق بلاغية إلا في مواضع قليلة، مع إشارتهم إلى أهمية هذا الجانب، وقد ارتأى البحث أن قرائن السورة وفواصلها يمكن أن تدرج في أحد عشر أفقًا، لكل أفق منها سماته وخصائصه في قرائنه وفواصله تبعًا للمعنى والسياق، وقد بين البحث بعض ما يحمله كل أفق منها من خصائص ولطائف تتصل ببلاغة القرآن الخاصة في هذا الجانب، مع الحرص على استقامة التأويل، وتجنب الشطط في التوجيه والتحليل، والاستشهاد بكلام أهل العلم، وتوثيق ذلك في كل موضع، ووضع جدول يتضمن إحصاءً شاملًا بقرائن السورة، وعدد كلماتها، وفواصلها، وبيان بعض جوانب التناسب والتلاؤم فيها.

الكلمات المفتاحية: القرينة، الفاصلة، الأفق، التنوع، التشاكل.

Diversity and morphology in the Qur'an's evidence from the rhetorical miracle in Surat "Al-Haqqah"

Muhammad Abu Al-Ela Abu Al-Ela Al-Hamzawi
Department of Rhetoric and Criticism, College of Arts and Humanities, Jazan University, Saudi Arabia.
Email: Melhamzawy2015@gmail.com

Abstract: The research aims to study the horizon of miracles in the systems of the Qur'an, a horizon related to the sentences of the Qur'an, i.e. its sentences and paragraphs And what it contains in the 'number of words according to meaning', and its diversity: in equality, length, palace With the association between them and their breaks that are similar, balanced, parallel, or heterogeneous to these clues so that they can be combined in a strange and unique format, with different prospects for that diversity and the problems in the same surah in a way governed by proportionality to ..,,meaning, and harmony in systems

The research applied this idea to Sura al-Haqqa, referring to some rhetorical secrets behind past equality and diversity, and referring to the efforts of rhetorical scholars in this regard, bearing in mind that they focused on the numerical observation of sentences in terms of default, length and equality, without looking beyond those rhetorical secrets while alerting them to the importance of this aspect.

The research indicated that evidence and chapters of the surah could be included in eleven horizons, each with its characteristics and characteristics in its evidence by meaning and context, and the research showed some characteristics of each horizon related to the Qur'an's own discourse in this regard, the keenness to correct the interpretation, quote the words of scholars, document them everywhere, develop a table containing a comprehensive census of the Qur'an, intervals and words, and show some aspects of proportionality and harmony..

Keywords: Sentence, Comma, Horizon, Diversity, Equal .

مـقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا حتى يبلغ الحمد منتهاه، وأصلي وأسلم على إمام الهدى، ومصباح الدجى، رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أوتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصارًا.

وبـــــعد

فإن إعجاز البيان في القرآن العظيم مفتوح مع الزمان، وله آفاق لا تنتهي، وشواهد تترى لمن أبصر وتدبر، فهو كما قال عنه الحق جل وعلا: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ٣**﴾ [فصلت: ٣]

وقد اجتهد أهل العلم بالبيان في كل زمان للنظر في إعجاز القرآن، وكشفوا عما هداهم الله إليه من لطائف تدبره ودقائقه، ويبقي الإعجاز بعد ذلك غضاً في هذا الكتاب العظيم، ينادي على أهل العلم بالتدبر والنظر، واستخراج ما في القرآن من وجوه التناسب والإعجاز، يقول تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ٢٩**﴾ [ص: ٢٩]، ويقول: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا٨٢**﴾ [النساء: ٨٢]

ولقد لفتني أفق عظيم من آفاق الإعجاز في نظم القرآن، وهو أفق يتصل بقرائن [(١)] القرآن، أي جمله وفقراته، وما تشتمل عليه في جانبها

(١) آثر البحث لفظة "القرائن" لما تعنيه من معنى المقارنة لأختها من الجمل؛ حيث توحي بمعنى الارتباط والتناسب، وتلك أمس بجانب الدراسة، وإلا فهي تسمى أيضا "الفقرات"، وهي الجمل التي تنتهي بفاصلة متفقة، أو متوازنة متعادلة، أو متوازية متماثلة. ينظر صبح الأعشى، القلقشندي، ٢٦٩/٢، ٢٧٠، ط المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ، ١٩١٣م.

«العددي»، أي «عدد الكلمات»، تشاكلًا، وامتدادًا، وانحصارًا [١]، مع الارتباط بينها وبين فواصلها التي تتفق، أو تتعادل، أو تتوازن، فيما بينها وبين هذه القرائن حتى يتم الالتقاء بينهما في نسق عجيب وفريد، مع اختلاف آفاق ذلك التنوع والتشاكل في السورة الواحدة بصورة يحكمها التناسب مع المعنى، والتلاؤم في النظم...

هذا وقد كانت هناك إشارات للعلماء والباحثين قديمًا وحديثًا إلى مبدأ «التغير» في هذه الناحية السابقة، وذكر بعض البلاغيين شواهد متفرقة من الذكر الحكيم حول «القرائن» من جهة التساوي، والطول، والقصر، ووضعوا ضوابط لهذا الباب – ستأتي الإشارة إليها – وهم بصدد الحديث عن «فن السجع وضوابطه وأقسامه كفن من فنون البديع»، وقد ذكروا أمثلة من القرآن الكريم؛ لكونه البيان الأعلى الذي يجب أن يحتذى لتفرده وكمال بلاغته [٢]

لكن هذه الضوابط – في تصوري – تم استحسانها بناء على شواهد متفرقة ومختارة من البيان القرآني، ولم تقم على الاستقراء التام لآيات وسور القرآن الكريم، على الرغم من إشاراتهم إلى كثرة الازدواج والمزاوجة بين الفواصل في الكتاب العزيز.

(١) آثر البحث لفظة "الانحصار أو الطي" ضدًا للامتداد والنماء تأدبًا في اللفظ مع البيان الأعلى؛ ولكون الحصر والطي من الألفاظ التي تتردد على ألسنة البلاغيين في سياق دراسة فنون وأسرار البيان كغرض من الأغراض لبعض أساليب البيان: كالتقديم، والقصر، وغيرها...

(٢) حيث يقول أبو هلال العسكري: "ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن؛ لأنه في نظمه خارج عن كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلًا عما تزاوج في الفواصل منه". وقد ساق عددًا من الآيات القرآنية لما سبق. كتاب الصناعتين، صـ ٢٦٠، ط دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

وكان من أدق العلماء «إشارة وعبارة» عن هذا الوجه الدقيق من وجوه الإعجاز: أبو عمرو الداني ت(٤٤٤هـ)؛ حيث يقول: «وقد تجئ آي السورة مبنية على ضرب من التشاكل متفق غير مختلف، وقد تجئ على ضربين مختلفين، وعلى أضرب مختلفة، وقد يختلط ذلك التشاكل بعضه ببعض، ويتقدم ويتأخر في السورة الواحدة وفي السور الكثيرة، وتقع بين ذلك فواصل نوادر تشبهن ما قبلهن أو ما بعدهن فيهن، أو مثلهن في سور أخرى، وذلك من الإعجاز المخصوص به القرآن الذي أخرس الفصحاء والبلغاء، وأعجز الألباء والفقهاء» [١]

وكلامه هنا فيه إشارات لآفاق ممتدة من البحث في هذا الوجه المتفرد من الإعجاز في السورة الواحدة، وفي السور الكثيرة، وهو من أدق وأجمع ما وقفت عليه من عبارات العلماء في هذا الباب، وإن كانت جاءت في سياق الحديث عن تمييز الفواصل التي هي أواخر الآيات، وبيان ضوابط العلماء في عدها؛ حيث يراعون في الفاصلة تشاكلها مع سائر الفواصل، أو المساواة في الزنة والبنية، وكون الكلام جملة مستقلة، وكلامًا تامًا منفصلًا [٢]، لكن يبقى له فضل السبق والتنبيه إلى كونها من الإعجاز «المخصوص»، الذي أخرس الفصحاء والبلغاء، وأعجز الألباء والفقهاء؛ فهي من الإعجاز الخاص بالقرآن، ولا يدركه إلا أهل البلاغة، وأولي الألباب من العلماء[٣]

(١) البيان في عد آي القرآن، صـ ١١١، ط مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

(٢) السابق، صـ ١٠٩

(٣) أشار الداني في مواضع من كتابه إلى ضابط المعنى في تمييز الفواصل، بكون الكلام جملة مستقلة، وكلاما تاما منفصلًا، وكذلك عند حديثه عن الاختلاف في عد فواتح السور، ذكر رأي من لم يعد الفواتح آية؛ لكون الكلام متصلًا بما بعدها ومتعلقًا به على ما يحتمله من توجيه المعنى وتقدير الإعراب. البيان في عد آي القرآن، صـ ١١٤ باختصار

وكلام البلاغيين حول الفواصل، وإن كان على سبيل التنظير لهذا الفن كفن من فنون البلاغة والبديع كما سبق؛ فإن تمثلهم واستشهادهم بآيات من القرآن في هذا الباب يفرض تفصيل القول في خصوصية هذا الجانب في بيان القرآن، ولا يُكتفى بالإشارة إلى الملحظ الشكلي واللفظي الخاص بالعدد في القرائن من حيث القصر والطول والتساوي بعيدًا عن المعاني. فهو وجه من وجوه البلاغة الخاصة بالبيان الأعلى، ولا يخضع لما يضعه البلاغيون من ضوابط أو حدود له كفن من فنون الكلام في بيان الناس، وإنما يخضع لأساس مكين من الإعجاز في النظم لا يؤخذ فيه جانب اللفظ والعدِّ بعيدًا عن المعنى والسياق وخصوصيات المقام.

ولقد تنوعت البحوث البلاغية في دراسة «القرائن والفواصل القرآنية»، وتشعبت في بيان ما وراءها من تناسب صوتي ودلالي في كتب علوم القرآن: كالبرهان، والإتقان، وفي كتب التفسير التي عنيت بدراسة هذا الباب من بلاغة القرآن: كـ «معاني القرآن، الفراء، والتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور»، وفي دراسات بعض المعاصرين: كـ «دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، عبد الجواد طبق، وإعجاز القرآن، الفواصل، حسين نصار، والفواصل القرآنية، دراسة بلاغية، السيد خضر، والفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، وغيرها». وقد اشتملت هذه الدراسات على الإشارات السريعة، والضوابط العامة للفواصل دون الخوض في تفصيل بيانها بصورة تكشف عن دقائقها وأسرارها في النظم الجليل [١]

ومن هنا تأتي الحاجة إلى البحث في هذا الوجه من وجوه الإعجاز بصورة تكشف جانبًا من خصائصه ودقائقه... فالبحث سيتجه لدراسة التناسب في القرائن والفواصل القرآنية من جهة تنوعها وتشاكلها امتدادًا وانحصارًا في السورة الواحدة؛ حيث نجد القرائن القرآنية ذات الفواصل المتماثلة، أو المتعادلة، أو المتوازنة تتساوى، وتطول، وتقصر في النظم،

(١) سياتي الكلام عن إشارات العلماء والباحثين حول هذا الجانب في المبحث الأول.

بطريقة فريدة وعجيبة، يحكمها دقة المعنى، ومراعاة المقتضى، وملاءمة السياق، فلا تخضع لما ذكره البلاغيون من ضوابط حول (السجع) وفقراته؛ لخضوعها لقاعدة أعلى من الإعجاز في هذا النسق العجيب المتفرد من جهة التنوع بين أن تمتد القرينة أحيانًا ثم تقصر ثم تمتد، ثم تتساوى، ثم تختلف فاصلة القرينة إذا اختلف المعنى، وإلى أن تأتي قرينة فذة متفردة بين القرائن المتصلة، مغايرة لما قبلها وما بعدها في امتداداها وفاصلتها، ثم يعود الكلام إلى الاتصال، أو يأتي بعد ذلك أفق آخر تختلف فيه القرينة مع الفاصلة لاختلاف المعنى في مجموعة أخرى من القرائن المتصلة، تطول فيها هذه المجموعة أو تقصر، وتتنوع داخلها القرائن امتدادًا وانحصارًا مع الارتباط بالفاصلة، أو مع توازن الفواصل وتعادلها، وهكذا إلى ما شئت من أشكال التنوع الدقيق في أنماط عجيبة وفريدة، قوامه التلاؤم والتناسب في كل موضع[1]، وهذه كلها آفاق متراحبة لا تكفي فيها الإشارات السريعة، ولا غنى فيها عن البيان والتطبيق.

(١) يقول أحمد حسن الزيات وهو بصدد الحديث عن صفة "التلاؤم" التي لابد من توافرها لتحقيق البلاغة:" ...وأما التلاؤم من حيث موافقة الكلام لحركات النفس، ومطابقته لصور الذهن، فيكون بتقطيعه فقرًا وفواصل تقصر أو تطول تبعًا لحالات النفس والفكر، فلكل عاطفة درجتها من الإبطاء أو الإسراع، ولكل فكرة مداها من الضيق أو الاتساع، ولكل صورة طبيعتها من الظهور أو الضمور، ومن القوة أو الضعف... كما ترى في الصور المكية من كتاب الله؛ فإنها لاشتمالها على أصول الدين تتصل بالعاطفة، فجاء لذلك أسلوبها قصير الآي، كثير السجع، رائع التشبيه، قوي المجاز، وقد تكون المعاني ... موضوعها توخي الإفادة أو الشرح أو الإقناع، فتقتضي الأسلوب المرسل أو المفصل، كما ترى في السور المدنية من القرآن الكريم؛ فإنها لاشتمالها على أصول الأحكام تتجه إلى العقل؛ فنزل أسلوبها هادئ البيان، طويل الجمل، مفصل الآيات، واضح الغرض. دفاع عن البلاغة، صـ ١٢٥، ١٢٦ باختصار وتصرف يسير، ط عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م.

وقد وقع الاختيار على سورة من المفَصَّل، وهي **سورة «الحاقة»**؛ وذلك للإيجاز في البحث من ناحية، وإلا فأكثر سور القرآن – والمفصل منها خاصة – قد اشتملت على هذا الاتفاق والتناسب في قرائنها وفواصلها بأشكال وصور متنوعة، يسري فيها ما يسري من خصوصيات في هذه السورة، مع التنوع في المعنى والموضوع، وكون هذا الجانب وجهًا من وجوه الإعجاز في نظم القرآن. وقد انتهى البحث إلى تقسيم السورة إلى «**إحدى عشرة مجموعة من القرائن**» يسري فيها ما مضى من التنوع والتشاكل على اختلاف آفاقه وصوره كما سيتضح بإذن الله.

ومنهج البحث يقوم على جانبين: الأول: الجانب النظري، ويتمثل في دراسة موجزة لضوابط بحث الفواصل عند البلاغيين لبيان ما انتهت إليه دراسة هذا الوجه من وجوه الإعجاز، مع بيان خصوصية هذا الجانب في قرائن وفواصل القرآن الكريم. الثاني: الجانب التطبيقي: ويقوم على دراسة «قرائن وآيات سورة الحاقة» كاملة، وتصنيف هذه القرائن في مجموعات وأنساق تبعًا لما بينها من التنوع أو التشاكل، مع مراعاة الارتباط في المعنى وتناسبه، وبيان ما وراء كل نسق منها من دقائق وخصائص بلاغية يقتضيها المقام. وهو تقسيم يرتبط بمحاور السورة ومقاصدها، ويربط ذلك كله بمعانيها وغاياتها، وليس مجرد حصر عددي، أو شكلي يغفل خصوصيات النظم الكامنة والظاهرة وراء هذا التنوع أو التشاكل...

فينظر في الامتداد والانحصار والتساوي في كل أفق من هذه الآفاق، مع النظر فيما يتصل بهذه القرائن من فواصل: تتماثل أو تتعادل أو تتوازن أو تتغاير في مقاطع الآيات، مع بيان صلة ذلك كله بالمعنى، ومقاصد السورة، وما وراء ذلك من أسرار البيان. وسيراعى في التحليل والبيان لهذه الآفاق المتراحبة ما يقتضيه النظم الجليل من خصوصيات، مع الاستشهاد والاستئناس بكلام المحققين من أهل العلم، ومراعاة مقتضيات السياق والمقام

في كل موضع بما يتسق مع النظم الكريم، بعيدًا عن الاعتساف، والشطط في التأويل...

وسأذكر ما فتح الله لي من فهم لأسرار من بيان كتابه العزيز وفق الأصول السابقة.. وما كان بعدُ من خطأ فمن نفسي، وحسبي أني قصدت الخير قدر طاقتي، مع اعترافي بعجزي أمام إعجاز البيان، وضراعتي إلى العلي القدير أن يرزقني شرف خدمة القرآن، وأن يلهمني السداد والرشاد. هذا وسيتبع البحث بجدول يتضمن حصرًا وإحصاءً عدديًا لما سبق بيانه من مجموعات القرائن والفواصل في السورة، ويسبقه ملاحظات على هذا الإحصاء العددي، وما وراءه من تناسب في المعنى.

والبحث يتضمن مقدمة، وتمهيدًا، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة ففيها أسباب اختيار البحث، والدراسات السابقة حوله، ومنهجه، والتمهيد يتضمن موجزًا حول دراسات البلاغيين للقرينة والفاصلة.

المبحث الأول: الإعجاز في القرائن والفواصل.

المطلب الأول: الفواصل وجه من وجوه الإعجاز:

المطلب الثاني: خضوع التغير والتنوع للمعاني، وليس لمجرد الإيقاع أو لرعاية الفاصلة.

المطلب الثالث: التعريف بسورة «الحاقة» ومقاصدها:

المبحث الثاني: التنوع والتشاكل في قرائن سورة "الحاقة".

المبحث الثالث: إحصاء لقرائن السورة وفواصلها.

ثم الخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

والله أسأل أن يعفو عن زلات القدم، وطغيان القلم، إنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سيتجاوز البحث الدراسة التاريخية للفواصل وسبب تسميتها بهذا الاسم، وخلاف العلماء حول وجود السجع في القرآن، وهل يقال في القرآن فواصل أو سجع؟ إلى غير ذلك من هذه المباحث التي استوفى فيها البحث أمده في كتب علوم القرآن وإعجازه، وكتب البلاغة والنقد قديمًا وحديثًا [(١)]، كما أنه لا يعود على البحث هنا بفائدة، ونحن بصدد دراسة هذا الجانب المترع والمتسع من جوانب تناسب المعاني والإيقاع في القرآن الكريم.

دراسة البلاغيين للفواصل:

تناولت دراسات البلاغيين الموسعة «الفواصل» من جهة معناها، وعلاقاتها، وأغراضها، وتناسبها في النظم مع سياقها في مطلع الآية ومقطعها، ومطلع وختام السورة، وظهور العلاقة وخفائها... [(٢)]، وقد عرف

(١) الباقلاني، إعجاز القرآن صـ ٨٦، ط دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٤م، والرماني، النكت في إعجاز القرآن، صـ ٩٧، ٩٨ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م، وابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة صـ ٢٠١، ٢٠٢، ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م، والزركشي، البرهان ٥٤/١، ٥٥، ط دار التراث، القاهرة، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م، والسيوطي، الإتقان ١٧٨٧/٥، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ، وابن الأثير، المثل السائر ٢١٠/١، ٢١١، ٢١٤، ط دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، والقزويني، الإيضاح ٨٥/٤، ط مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩م، وابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح ٤٥١/٤، ٤٥٢، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، وبهاء الدين السبكي، عروس الأفراح ٤٥٢/٤، ط دار الكتب العلمية، بيروت، وعائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني صـ ٢٥٤، ط دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ومحمد رجب البيومي، البيان القرآني صـ ١٥٢، ١٥٣، ط مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

(٢) ومن أوسع الدراسات المعاصرة في هذا الجانب: دراسة "الفاصلة في القرآن" لمحمد الحسناوي (رحمه الله) في البابين الثالث والرابع من الكتاب، صـ ٩١ – ٣١٧، ط دار عمار، الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

الرماني الفواصل بأنها: «حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني»[١]، وتابعه في هذا التعريف الباقلاني، وعرفها الراغب الأصفهاني بأنها: «أواخر الآي»، وذكر الزركشي أنها «كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع» [٢]، فهي تدور حول التشاكل في حروف المقطع من الكلمة الأخيرة أو في الكلمة ذاتها من الجملة، سواء أكانت رأس آية أو غيرها؛ حيث تعم الفاصلة النوعين[٣]، ومن دراساتهم في دلالات الفواصل وقرائنها: دراسة رد أعجاز الكلام على ما تقدم أو «**التصدير**»، والدلالة فيه لفظية؛ لأنه يكون بالاتفاق في صورة الكلمة أو في اشتقاقها، و «**التوشيح**»، وهو إنباء أول الكلام عن آخره، و «**التمكين**»، وهو تمهيد القرينة للفاصلة في المعنى؛ بحيث تتمكن الفاصلة تمكنًا لا غنى عنه للمعنى، و «**الإيغال**»، وهو أن يتم المعنى قبل الفاصلة، ويكون فيه زيادة في المعنى لفائدة، والدلالة في الثلاثة الأخيرة معنوية ... وهناك خلاف بين البلاغيين في بعض الحدود والفروق بين هذه الاصطلاحات، وما تطلق عليه من الفاصلة، وقد ذكر ابن أبي الإصبع أن فواصل القرآن لا تخلو أن تكون أحد هذه الأقسام الأربعة... [٤]، وقد تناولت هذه الدراسات – قديمًا وحديثًا – الفواصل والقرائن من حيث البنية، والإيقاع، والجرس، وما بينها من التماثل،

(٢)النكت في إعجاز القرآن، صـ ٩٧، وإعجاز القرآن، صـ ٤٠٩

(٣)المفردات في غريب القرآن، صـ ٣٨١، ط دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، تحقيق: محمد كيلاني، والبرهان ٥٣/١

(٤)يراجع كلام الداني حول التفرقة بين الفواصل ورؤوس الآي في: البرهان ٥٣/١، ٥٤

(٥) كتاب الصناعتين صـ ٣٨٢، ٣٨٦، وابن أبي الإصبع، بديع القرآن صـ ٨٩ – ٩٣، ط دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، وتحرير التحبير صـ ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٢، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م، والبرهان ٧٢/١، ٧٨، والإتقان ١٨٠٥/٥، ١٨٠١٤

أو التقارب، أو الازدواج، أو التوازن، ومدى التئامها، وتناسبها، وما تشتمل عليه من تكرار أو اختلاف... [١]، كما قسم البلاغيون السجع، ومثله الفواصل كما ذكر السيوطي إلى أقسام، وهي: المطرَّف، والمتوازي، والمتوازن، والمرصَّع، والمتماثل[٢]، هذا وهناك دراسات أخرى للفاصلة جاءت في كتب «عد آي القرآن» لمعرفة رؤوس الآي في السور، وشرح علل العادين فيما أجمعوا عليه وفيما اختلفوا فيه، وتمييزهم للفواصل بناء على ما بينها من التشاكل، أو التساوي في الزنة والبنية، أو غير ذلك من ضوابط هذا الباب، وقد سبقت الإشارة إلى موضع ذلك عند الكلام على عبارة الداني حول التشاكل والتنوع في فواصل القرآن في مقدمة البحث [٣]

دراسة البلاغيين للقرائن:

القرائن من حيث الطول والقصر:

درس البلاغيون القرائن من حيث الطول والقصر أيضاً، ووضعوا بعض الضوابط للقرائن ومقاديرها، ومن ذلك: ما ذكره قدامة أن: «أحسن البلاغة الترصيع والسجع، واتساق البناء واعتدال الوزن، والترصيع أن تكون الألفاظ متساوية البناء، متفقة الانتهاء» [٤]، وذكر البلاغيون أن أحسن السجع ما تساوت قرائنه، ثم ما طالت قرينته الثانية أو الثالثة طولًا لا يخرج

(١) على سبيل المثال: المثل السائر ٢٥٥/١، والبرهان ٧٢/١، وما بعدها، والإتقان ١٨١٩/٥، والفاصلة في القرآن صـ ١٧٥ وما بعدها.

(٢) ينظر التعريفات والأمثلة في: معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ٣٩، ٤٠، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، تحقيق: أحمد شمس الدين.

(٣) البيان في عد آي القرآن، صـ ١٠٩– ١١١

(٤) جواهر الألفاظ، صـ ٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

بها عن الاعتدال، أو ما تساوت فيه الأولى والثانية، وطالت الثالثة [١]، وليس حتمًا أن تطول الثالثة في الثلاث السجعات الطويلة، بل ربما تكون الثلاث كلها متساوية[٢]، وقد تكون الثانية أقصر من الأولى قصرًا يسيرًا، وقد تكون الأولى أقصر، والثانية والثالثة متساويتين، وقد تكون الثانية زائدة عن الأولى، والثالثة زائدة عن الثانية.

وينبغي في هذه الحالة أن تكون زيادتها متميزة في الطول على الأولى والثانية أكثر من تميز الثانية عن الأولى، ولا تكون أكثر من المثل. وعاب بعض البلاغيين كضياء الدين بن الأثير أن تكون الثانية أقصر من الأولى كثيرًا؛ لأن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله، ثم يجئ الفصل الثاني قصيرًا عن الأول فيكون كالشيء المبتور، فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها، أو لئلا يحتاج في الكلام إلى إطالة الثاني ليساوي الأول أو يزيد عليه فيدخل الكلام في التكلف[٣]، وقد خالف بعض البلاغيين ابن الأثير في رأيه الأخير، وذكر القلقشندي أن فيما قاله نظرًا[٤] واحتج عليه بأن أبا هلال العسكري اختار

(١) وفي هذه الحال يغتفر طول الثالثة؛ لأن الفقرتين الأوليين قد تنزلتا لقصرهما منزلة الفقرة الواحدة فلا جرم اغتفر طولها. العلوي، الطراز ١٦/٣، ط المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.

(٢) الطراز ١٦/٣

(٣) كتاب الصناعتين صـ ٢٦٢، وسر الفصاحة صـ ١٩٣، والمثل السائر ٢٥٥/١، ٢٥٧، والنويري، نهاية الأرب ٩٠/٧، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، والبرهان ٧٧/١، والإيضاح ٨٣/٤، والتنوخي، الأقصى القريب صـ ١١، ط مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٢٧هـ، ١٩٠٢م.، والطراز ١٦/٣، والحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل صـ ٧٥، ط أمين هندية، القاهرة، ١٣١٥هـ، وصبح الأعشى ٢٧٨/٢ – ٢٨٠، وشروح التلخيص ٤٤٩/٤، والفاصلة في القرآن ومراجعه صـ ٢٢٢

(٤) صبح الأعشى ٢٧٨/٢

تحسين ذلك، وأنه قد جاء في كثير من كلام الفصحاء ما كان الجزء الأخير منه أقصر من الأول [١]، وعبارة أبي هلال لا تساعد على القول بالاستحسان، وإنما تفيد جواز ذلك لوروده في كلام الفصحاء [٢]، وذكر التنوخي أنه ليس بقبيح مطلقًا، بل إذا حصل التنافر، فلا فرق بين أن يزيد الثاني عن الأول أو ينقص إذا لم يحصل التنافر، وقد جاء جميع ذلك في القرآن العزيز، وأمثلته كلها في سورة الضحى [٣]، وما ذهب إليه التنوخي هو الصواب، وسيأتي تفصيل ذلك.

وقد ذكروا أن "قصر الفقرات يدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة لا سيما القصير منها للغاية"[٤]، «وهو أوعر الأنواع مسلكًا، وأصعبها مدركًا، وأخفها على القلب، وأطيبها على السمع؛ لأن الألفاظ إذا كانت قليلة فهي أحسن وأرق؛ لأنها إذا كانت أطرافها متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها ولين معاطفها» [٥]

وأقله وأحسنه ما يكون من لفظتين، «ليكون شبيهًا بالشعر؛ فإن أبياته متساوية»[٦]، لكن الزائد على ذلك هو الأكثر، وكذلك التذاذ السامع به

(١) كتاب الصناعتين صـ ٢٦٤، والأقصى القريب صـ ١١١، وصبح الأعشى ٢/٢٧٨ – ٢٨٠، والفاصلة في القرآن ومراجعه صـ ٢٢٢

(٢) كتاب الصناعتين، صـ ٢٦٣، ٢٦٤، ودراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، عبد الجواد طبق، صـ ٧٢، ط دار الأرقم، القاهرة، ١٤١٣هـ.

(٣) الأقصى القريب، صـ ١١١

(٤) حسن التوسل، صـ ٧٤، وصبح الأعشى ٢/٢٧٦

(٥) الطراز ٣/١٤

(٦) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص ٤/٤٤٩، والبرهان في علوم القرآن ١/٧٧

لتشوقه إلى ما ورد منه متزايدًا على سمعه [١]، ومنه ما يكون مؤلفًا من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة، وكذلك إلى العشرة [٢]، وما زاد عن ذلك فهو من السجع الطويل، وعليه فالسجع القصير ما صيغ من عشرة ألفاظ فما دونها، والسجع الطويل تتفاوت درجاته في الطول، فمنه ما يقرب من السجع القصير، وأقل ما تتركب السجعات الطوال من إحدى عشرة كلمة فما فوقها، وغالبًا ما تكون من خمس عشرة لفظة فما حولها، وأن أقصر الطوال ما كان من إحدى عشرة لفظة، ومن السجع الطويل ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها، ومنه ما يزيد على هذه العدة، وهو غير مضبوط[٣]

وقد ذكروا من العيوب التي تقبح في السجع: «التجميع»، وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني، و«التطويل» بأن يجئ الجزء الأول طويلًا فيحتاج إلى إطالة الثاني بالضرورة [٤]. ولو تتبعنا ما ذكروه حول هذا الجانب المتعلق بطول وقصر القرائن في السجع لوجدناه لا يخرج عما سبق، وهي **ضوابط وتقسيمات تعتمد على الملحظ الشكلي والعددي لألفاظ القرائن، ولم ينظر فيها إلى الأساس الذي يبنى عليه هذا الجانب من المعنى والسياق والمقام في الشواهد القرآنية التي أوردها البلاغيون؛ فهي تخضع للسياق والمقام الذي يفرض في كل**

(١) حسن التوسل صـ ٧٤، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٩٠/٧، وصبح الأعشى ٢٧٦/٢، وابن حجة الحموي، خزانة الأدب ٤١٢/٢، ط دار ومكتبة هلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

(٢) يرى ابن يعقوب المغربي أن الأقصر ينتهي إلى تسع كلمات، وما زاد على ذلك فهو تطويل. شروح التلخيص ٤٤٩/٤

(٣) المثل السائر ٢٥٥/١-٢٥٨، وحسن التوسل صـ ٧٤، ونهاية الأرب ٩٠/٧، ٩١، وصبح الأعشى ٢/ ٢٧٦، ٢٧٧

(٤) صبح الأعشى ٢٨١/٢، ٢٨٢

موضع ما يتناسب مع المعاني من حيث الامتداد والتساوي في القرائن، وما يتسق مع بلاغة القرآن الخاصة في هذا الجانب من الإعجاز.

شروط الحسن في السجع: ذكر البلاغيون ضوابط لحسن السجع وبلاغته من حيث اللفظ والمعنى، ومن أوائل من نبه إلى ذلك: الجاحظ ت (٢٥٥هـ) فيما ذكره حول ترك الطول في قوافي السجع لئلا يوجد في الكلام ما يكون مجتلبًا أو مستكرهًا [١]، وذكر علي بن خلف الكاتب ت(٤٣٧هـ) في كتابه «مواد البيان» في سياق رده على الرماني وكراهيته إيقاع السجع في الكلام؛ حيث أشار إلى أهمية الطبع في السجع وعدم التكلف، ومناسبة اللفظ للمعنى مع تصحيحه، ووضعه في موضعه، ونظمه في سلك اللفظ (٢)، كذلك ما ذكره أبو هلال العسكري ت(٣٩٥هـ) حول شرط البراءة من التكلف في السجع، والخلو من التعسف، وكلام الحكيم العليم على قدر المقامات، كذلك ما ذكره حول «فواصل القرآن» من تمكنها في المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة [٣]. وكذلك ما ذكره ابن سنان الخفاجي ت(٤٦٦هـ) في سياق رده على من يكرهون السجع لما قد يوقع فيه من التكلف والتعمل والاستكراه؛ حيث أشار إلى أن المذهب الصحيح في السجع المحمود إذا وقع سهلًا بلا كلفة ولا مشقة، ولم يُقصَد في نفسه، ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيل لأجله، وورد ليصير وصلة إليه [٤]

(١) الجاحظ، البيان والتبيين ٢٨٨/١، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(٢) مواد البيان صـ١٥٥، ط دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م.

(٣) كتاب الصناعتين صـ ٢٦٠، ٢٦١

(٤) سر الفصاحة، صـ ٢٠١، ٢٠٢

وقد نبه عبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١هـ) إلى أن الحسن في السجع لا يكون إلا إذا كان المقام هو الذي استدعاه، وساق نحوه، بعيدًا عن التكلف والاستكراه... يقول: «وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولًا، ولا سَجَعًا حَسَنًا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوَه، وحتى تَجِده لا تبتغي به بدَلًا، ولا تجِد عنه حِوَلًا... ولن تجد أيمنَ طائرًا، وأحسنَ أوّلًا وآخرًا، وأهدى إلى الإحسان، وأجلبَ للاستحسان، من أن تُرسل المعاني على سجيّتها، وتَدَعها تطلب لأنفسها الألفاظَ، فإنها إذا تُركت وما تريد لم تكتسِ إلا ما يليق بها، ولم تَلْبَسْ من المعارض إلا ما يَزِينها، فأمّا أن تَضَع في نفسك أنه لا بُدَّ من أن تجنّس أو تَسْجَعْ بلفظين مخصوصين، فهو الذي أنْتَ منه بِعَرَض الاستكراه، وعلى خَطَرٍ من الخطأ والوقوع في الذَّمّ...» [(١)]، وقد ذكر ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) في كتابه "المثل السائر"، ضوابط السجع الحسن المقبول، واستشهد له بأمثلة من القرآن الكريم، ونماذج من كتاباته وكتابات الصابي، والصاحب بن عبَّاد [(٢)].

وهذه الضوابط [(٣)] قد نقلها عنه من جاء بعده كـ محمود الحلبي (ت ٧٢٥) هـ في «حسن التوسل»، وشهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) في «نهاية الأرب»، والخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) في «الإيضاح»، ومحمد

(١) أسرار البلاغة، صـ ١١، ١٤ باختصار، ط مطبعة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩١م، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) المثل السائر ٢١٥/١ وما بعدها، والطراز ١٣/٣، ١٤

(٣) ذكر ابن الأثير أن الكلام المسجوع يحتاج إلى أربعة شرائط: الأولى: اختيار مفردات الألفاظ ... الثانية: اختيار التركيب ... الثالثة: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى، لا المعنى تابعا للفظ. الرابعة: أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلّت عليه أختها؛ فهذه أربع شرائط لابد منها. وقد خالفه ابن أبي الحديد في الشرط الرابع، ورأى أن تأكيد السجعة الثانية للأولى من باب التأكيد الذي هو عمدة البيان والكتابة، وأنه من سنة الكتاب وعاداتهم قديمًا وحديثًا إلى آخر ما ذكره في الرد عليه. المثل السائر ٢١٥/١، والفلك الدائر على المثل السائر، صـ ١٦٩، ط دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

التنوخي (ت ٧٤٨هـ) في «الأقصى القريب»، والعلوي (ت ٧٤٩هـ) في «الطراز»، والقلقشندي (ت ٧٥٦هـ) في «صبح الأعشى»، وابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) في «خزانة الأدب».

هذا وقد أشار بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤) هـ فيما نقله عن الزمخشري في كشافه القديم إلى أنه "لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سداداها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه"(١)، وكلامه ليس في مجال التنظير ووضع الضوابط لفن السجع بصورة عامة، وإنما جاء في سياق وضع الضوابط لفواصل القرآن، وبيان أهمية مناسبتها للمعاني بصورة خاصة.

ومن اللافت من خلال ما سبق: تنبيه البلاغيين في شروط حسن السجع على: ضرورة التلاؤم بين اللفظ والمعنى، وترك التكلف، وكون اللفظ تابعًا للمعنى... وهي أصول بيانية دقيقة في صناعة هذا الفن، لكن **يلاحظ على كلام البلاغيين** بعض الأمور، ومنها:

غياب التحليل للشواهد؛ فلقد أورد البلاغيون بعض الشواهد القرآنية لما سبق ذكره حول القرائن من حيث الطول والقصر، ولم يقدموا تحليلًا بلاغيًا يكشف عن التناسب في المعاني والنظم لما أوردوا، ولم يكن هناك استقراء للشواهد المتنوعة الأخرى – والكثيرة جدًا– في الكتاب العزيز. وكلام أبي هلال العسكري السابق حول قصر الجزء الأخير من السجع عن الأول جاء موجزًا، واستشهد لرأيه بحديثين فقط، وكلام لبعض الأعراب (٢)، ولم يذكر مثالًا واحدًا من القرآن الكريم ليدلل به على وجود هذا الاختلاف في القرائن في الذكر الحكيم. أما ما أورده ابن الأثير من شواهد قرآنية أثناء تقسيمه للسجع من حيث القصر والتساوي والطول، فقد أورده بدون تحليل

(١) البرهان ٧٢/١، ٧٨

(٢) كتاب الصناعتين، صـ ٢٦٤

أو بيان لما وراء هذا الاختلاف من مقتضيات في المعنى والسياق، وكأنه قد عوَّل على ما أورد من شروط وضوابط في بداية بحثه للسجع، وترك للقارئ أو الكاتب أن ينظر ويتأمل، كما أن **الآيات والشواهد التي أوردها البلاغيون لم تتغير**، بل ينقلها اللاحق عن السابق إلا فيما ندر. وهذا الغياب للتحليل البلاغي للمعاني الكامنة وراء هذا التنوع الدقيق في هذه القرائن القرآنية، مع الانتقاء لبعض الشواهد وتكرارها في كل موضع؛ مما يستدعي النظر والتأمل، والعودة إلى البيان الأعلى للنظر في شواهده المستفيضة، والتي امتلأت بأسرار متدفقة من الإعجاز في هذا الباب، ودراسة ما وراء هذا التنوع اللافت والدقيق في البيان الأعلى، ولا يُكتفى بالتحليل الجزئي لبعض الآيات دون كامل سياقها ومناسباتها.

لا يكتمل المنهج بدون تطبيق: إن المنهج الأمثل – في رأي البحث – أن نتجاوز البحث الجزئي الشكلي والنظري إلى البحث الكلي التطبيقي القائم على دراسة السياق من كل جوانبه، وهو المنهج الذي يركز على إبراز مقاصد القرآن من وراء هذا الامتداد وهذا التنوع في القرائن وفواصلها. وفي تصوري لن يتحقق المنهج الصحيح المتكامل لدراسة القرائن القرآنية وفواصلها إلا بدراسة السور التي اشتملت على هذا اللون من الإعجاز بصورة كاملة، وليس دراسة بعض الآيات منها بمعزل عن السياق والمناسبات؛ ولذا اتجه البحث إلى دراسة سورة من سور القرآن يحاول من خلالها إظهار بعض دقائق التنوع في هذا الجانب من بلاغة القرآن وإعجازه.

ولقد أشار الباقلاني إلى جانب من ذلك المنهج، وهو بصدد الحديث عن نظم القرآن وتفرده، وخصوصية نهجه وتأليفه؛ حيث دل القارئ على طريق لمعرفة جوانب من إعجاز القرآن، وذلك من خلال النظر في تعادل نظم القرآن؛ حيث يقول:« ثم فكر بعد ذلك في شيء أدلك عليه، وهو تعادل هذا النظم في الإعجاز في الآيات القصيرة، والطويلة، والمتوسطة، فأجِل

الرأي في سورة سورة، وآية آية، وفاصلة فاصلة، وتدبر الخواتم، والفواتح، والبوادي، والمقاطع، ومواضع الفصل والوصل، ومواضع التنقل والتحول، ثم اقض ما أنت قاضٍ، وإن طال عليك تأمل الجميع فاقتصر على سورة واحدة، أو على بعض سورة»[١]، فهذا النهج التحليلي المستقصي هو ما ينبغي أن تسير عليه الدراسة لهذا الجانب من جوانب الإعجاز [٢] والبحث هنا خطوة في هذا الطريق تحتاج إلى إكمال وإتمام، وهو نواة لمشروع يُعنى بدراسة هذا الوجه الجليل من وجوه الإعجاز في النظم من خلال هذا التنوع والتشاكل في القرائن.

(١) إعجاز القرآن، صـ ٢٩٣، ٢٩٤

(٢) وعبارة الباقلاني السابقة قد نقلتها على سبيل الاستئناس للنهج الأمثل لدراسة هذا الجانب من الإعجاز، وإلا فإن دراسته لا تلتقي مع البحث هنا في فكرته حسب ما أورد من شواهد ليشرح فكرته بعد ذلك؛ حيث اتجه في دراسته هنا لبيان روعة النظم الجليل في اتصاله، وفي الانتقال من موضع إلى موضع، ومن غرض إلى غرض، وكونه في أعلى درجات التلاؤم والتآلف والاتصال بين فصوله، مع جمعه لأمور شتى ومختلفة، وبيان مخالفة كلام العليم الخبير لكلام الناس في هذه الجوانب من الإعجاز؛ حيث يلحق كلام الشعراء الانقطاع والاختلاف، والخلل في النظم عند الانتقال من معنى إلى معنى، أو من غرض إلى غرض، أو عند الجمع بين أمور مختلفة... ينظر إعجاز القرآن صـ ٢٩٤ – ٣٠٩.

المبحث الأول: الإعجاز في القرائن والفواصل

المطلب الأول: الفواصل وجه من وجوه الإعجاز:

أشار البلاغيون إلى أن دراسة «الفواصل» إنما هي دراسة لجانب من جوانب الإعجاز البلاغي في النظم القرآني، بما فيها من التلاؤم والتناسب مع المعاني، وأنها طريق فريد وعجيب لا بديل عنه لتصوير المعنى، وقانون دقيق يحمل خصيصة من خصائص البيان القرآني في هذا الجانب، وكون الفواصل على حد الإعجاز مما يتصل بقرائنها التي جاءت فيها؛ نظرًا لكونها متلائمة مع معانيها، متعلقة بما سبقها في نظم الجملة القرآنية التي ختمت بها الفاصلة. وقد عد الرماني ت(٣٨٦هـ) الفواصل في القسم الخامس من أقسام البلاغة التي جعلها وجها من الوجوه السبعة التي يظهر فيها إعجاز القرآن؛ حيث يقول: «وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها...»، والفواصل التي يتحدث عنها هي جزء من القرائن؛ فهي طريق لإفهام المعاني، ولها دلالتها على المقاطع، فضلًا عما فيها من تحسين صورة الكلام بالتشاكل والتماثل... فـ «الفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الآي بالنظائر» (١)

وقد بين أن «الفواصل على وجهين: الحروف المتجانسة، والحروف المتقاربة...» وأن حسن المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة...فهي من معاقد البيان في النظم الجليل، والحاملة لمضامين الخطاب القرآني في مساحة واسعة من الذكر الحكيم، ولها امتداد في كثير من سور القرآن على اختلاف أغراض الكلام، وتنوع فنون المخاطبات في

(١) النكت في إعجاز القرآن صـ ٧٥، ٧٦، ٩٨، ٩٩

النظم الجليل... وقال أبو هلال العسكري: «وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمن الحلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق"(١). وقال ابن سنان الخفاجي:" فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة، وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة» (٢)، وقال الباقلاني: «وفواصل القرآن – مما هو مختص بها – لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب»، وبين في موضع آخر أنه «يصح أن يتعلق بها الإعجاز» (٣)، ولقد أَلحَّ – بحق – على بيان مباينة ما في القرآن من الفواصل لما هو معهود في السجع عند العرب؛ حيث يقول: «والقرآن مخالف لهذه الطريقة مخالفته للشعر وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم»، وقد سبق ما دل القارئ عليه من خلال النظر في تعادل النظم في الآيات القصيرة، والطويلة، والمتوسطة، وإجالة الرأي في سورة سورة، وآية آية، وفاصلة فاصلة، وتدبر الخواتم، والفواتح، والبوادي، والمقاطع... (٤)، ونرى ابن أبي الإصبع يشير إلى بعض الفواصل المتفقة، ويعقب بعدها بقوله: «وأشياء كثيرة من فواصل القرآن العزيز، تعجز الفصحاء أشد تعجيز» (٥)، ولقد سبق في مقدمة البحث ما ذكره أبو عمرو الداني حول الإعجاز المخصوص في فواصل القرآن (٦)

(١) كتاب الصناعتين، صـ ٢٦٠
(٢) سر الفصاحة، صـ ٢٠٣
(٣) إعجاز القرآن صـ ٩٣، ٤٢٩
(٤) السابق صـ ٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ويراجع في تفصيل هذه الخصوصية: حسين نصار، إعجاز القرآن، الفواصل صـ ٥٣، ٥٤، ط مكتبة مصر، ط١، ١٩٩٩م.
(٥) تحرير التحبير صـ ٥١٨
(٦) البيان في عد آي القرآن، صـ ١١١، ط مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

ونرى أب الحسن الماوردي ت (٤٥٠هـ) يشير إلى الأعجاز في قرائن القرآن، في الوجه الرابع عشر من وجوه الإعجاز، مبينًا أن: «اختلاف آياته في الطول والقصر لا يخرج عن أسلوبه، ولا يزول عن اعتداله، وأن الزيادة من طوله مفيدة، والقصر منها مقنع، وأن اختلاف الآيات في الطول والقصر كاختلاف السور في القصر والطول، والاشتمال على الإعجاز» [١]

المطلب الثاني: خضوع التغير والتنوع للمعاني، وليس لمجرد الإيقاع أو لرعاية الفاصلة:

لكون القرائن والفواصل القرآنية حاملة لجانب عظيم من أسرار البيان، ومتضمنة لكثير من خصوصياته بما يتناسب مع كونها وجها من وجوه الإعجاز في النظم القرآني؛ لأجل ما تقدم، فلا يقال فيها ما يقال في سائر الكلام من أنها تراعى لناحية لفظية أو لمجرد السجع أو لاتفاق الفواصل، أو للجرس الصوتي ومشاكلة المقاطع [٢] كما جرى عليه بعض المفسرين والبلاغيين، وهو ما رده المحققون منهم [٣]؛ حيث نظروا إلى خصوصية البيان الأعلى، ورأوا أنه لا ينسحب على نظم القرآن وأسلوبه ما ينسحب على بيان الناس، ولا يقال في خصائصه ودقائقه ما يقال في بيان الناس...

وهذه من الحقائق التي ينبغي التنبه إليها عند التصدي للنظر في بيان القرآن الكريم. إن خصوصية النظم القرآني تقوم على هذا الاتساق والانسجام الذي يسري في بيانه من معانيه إلى ألفاظه ومبانيه، وتناسبها مع الغايات والمقاصد التي يرمي إليها بكل ما تحمله كلمة «التناسب» من معنى؛ ولذا

(١) أعلام النبوة، صـ ٦٣، ٦٤ باختصار وتصرف يسير، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

(٢) الإعجاز البياني صـ ٢٥٤

(٣) إعجاز القرآن صـ٩٣، والبرهان ٦٥/١، ٧٢، ومعترك الأقران ٢٩/١، ٤٢، والإعجاز البياني صـ ٢٥٣ وما بعدها.

بين العلماء أن ما يُذكر من عيوب القافية من حيث المد، والإشباع، والتوجيه، فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة، ومن ثم ترى «يرجعون» مع «عليم»، و «الميعاد» مع «الثواب»، و«الطارق» مع «الثاقب» (١)

وتأسيسًا على هذه الخصوصية السابقة نلمح من خصائص هذه القرائن القرآنية هذا الامتداد في فقراتها حتى تلتقي بفواصلها التقاءً ينسجم ويتلاحم مع معانيها في مواضع من النظم الجليل لا يصلح لتمام المعنى فيها غير هذا الامتداد والنماء...

وفي مواضع أخرى نجدها تطوي هذا الامتداد في بعض قرائنها؛ لأنه لا يصلح في النظم لوفاء المعنى غير هذا التقييد والانحصار... فتمتد المقاطع تارة لامتداد المعنى، وتنحصر وتتساوى تارة لقيد المعنى؛ ولاختلاف السياق والمقام. ونجد فواصل هذه القرائن تتوازى أو تتوازن، أو تتغاير، أو تتماثل مع هذه القرائن، بما يتناسب ويتسق مع كل موضع منها. وهذا الامتداد والانحصار، مع التنوع في الفواصل يتقاطع مع ما ذكره المتأخرون من البلاغيين حول ضوابط «طول وقصر القرائن السجعية»، وقد سبق ما ذكروه حول أعلاها وأدناها في البلاغة، وهم يذكرون ذلك في سياق الحديث عن السجع وضوابطه كفن من فنون البديع، لكن اللافت أن الأمثلة التي ذكروها للسجع أكثرها من القرآن الكريم!!

ولا يُنكر أن هناك آيات من النظم الكريم تقتضي أن تتساوى القرائن لأجل المعنى، وأن تطول الثانية عن الأولى إلى آخر ما ذكروا.. لكن هناك مواضع في النظم الجليل تقتضي أن يقصر الفصل الأخير من الكلام عن

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/٢٤

الأول على نحو ما ذكره أبو هلال العسكري في سياق كلامه السابق [١]، ويرافق هذا التنوع في الامتداد نوع آخر من التغير في الفاصلة ذاتها ينسجم مع المعنى واختلافه في كل موضع...

ونجد مواضع أخرى تطول فيها القرينة الثانية عن الأولى طولاً كثيرًا لأجل المعنى [٢]، وليس كما قرر ابن الأثير في القسم الثاني من أقسام السجع من ضرورة ألا يطول الفصل الثاني عن الأول طولًا كثيرًا [٣]

وقد نبه محمد الحسناوي إلى مبدأ التغير في طول القرائن، وأورد ردودًا واعتراضات على البلاغيين فيما ذكروه من اشتراطات في طول القرائن، كما أورد نماذج مختارةً من هذا التغير والتنوع، مبينًا ما وراء ذلك من دلالات في النظم وما يتصل بالإيقاع في بعض المواضع... [٤]

(١) كتاب الصناعتين صـ ٢٦٤، والفاصلة في القرآن ومراجعه صـ ٢٢٢

(٢) ومن ذلك ما نراه مثلًا في مطلع سورة «ق» في قوله تعالى: ﴿**قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ١بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ٢**﴾ [ق: ١-٢]؛ فجاءت القرينة الأولى في ثلاث كلمات من القرائن القصيرة، وجاءت القرينة الثانية في إحدى عشرة كلمة من القرائن الطويلة. وهذا يتقاطع مع ما ذكره ابن الأثير، ويؤكد ما سبق بيانه من أن قرائن القرآن وفواصله لا تخضع لضوابط البلاغيين التي وضعوها في كلام الناس، وإنما تخضع لبلاغة خاصة هي من معاقد الإعجاز في هذا الباب.

(٣) يقول: «القسم الثاني :أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول، لا طولًا يخرج به عن الاعتدال خروجًا كثيرًا، فإنه يقبح عند ذلك ويستكره ويعد عيبًا، فمما جاء منه [أي من الوجه الحسن البليغ] قوله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا١١ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا١٢وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا١٣**﴾ [الفرقان: ١١-١٣]. ألا ترى أن الفصل الأول ثمان لفظات، والفصل الثاني والثالث تسع تسع». المثل السائر ٢٥٥/١، ٢٥٦

(٤) الفاصلة في القرآن، صـ ٢٢٠-٢٢٤

وهذا البحث جاء ليبرز جانبًا من أسرار هذا التغير والتنوع في القرائن والفواصل القرآنية؛ مبينًا – قدر الطاقة – بعض ما وراء ذلك التغير من دقائق بلاغية وخصائص يقتضيها النظم الكريم. إن البحث هنا يُلح على إبراز بعض أسرار النظم الكامنة وراء هذا التغير، وخصوصيته في سياق السورة الواحدة، بل كيف تتنوع هذه القرائن مع فواصلها في مواضع مختلفة من السورة، وتتشابك وتتشابه وتتساوى فيما بينها لارتباط المعنى، وتلتزم هذا الاتفاق في داخل السورة الواحدة بإحكام وإبداع يفوق القُوى والقُدَر.

وهو بحث في علاقات المعاني وبناء بعضها على بعض؛ حيث نجد القرائن بفواصلها تنطلق مع المعنى فتتساوى لأجل هذا الاتفاق في المعنى، وكيف تمتد حينًا آخر لامتداد المعنى فتخرج عن قيد التساوي للدلالة على معنى آخر، في سياق من التناسب الذي لا يوجد إلا في كلام العليم الخبير.

المطلب الثالث: التعريف بسورة «الحاقة» ومقاصدها:

سورة "الحاقة" لها اسمان؛ لمفتتحها؛ حيث لم تقع هذه الكلمة في غيرها من سور القرآن، وسورة "السلسلة" لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ٣٢**﴾ [الحاقة: ٣٢]، وسماها الجعبري "سورة الواعية"؛ ولعله أخذها من وقوع قوله تعالى: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ١٢**﴾ [الحاقة: ١٢]، وليس له سلف في هذه التسمية. وهي مكية باتفاق، وقد عدت السابعة والسبعين في ترتيب النزول، ونزلت بعد سورة «الملك»، ونزلت بعدها سورة «المعارج»، وآياتها إحدى وخمسون في عد البصري والشامي، واثنتان وخمسون في عد غيرهما، وكلماتها مائتان وست وخمسون، وحروفها ألف وأربعمائة وثمانون، وقاعدة فواصلها: «منهل»، والسورة محكمة، خالية من الناسخ والمنسوخ.

وقد اشتملت على عدة مقاصد، وهي: تهويل يوم القيامة، وتهديد المكذبين بوقوعه. وتذكيرهم بما حل بالأمم التي كذبت به من عذاب في

الدنيا والآخرة، وتهديد المكذبين لرسل الله تعالى بالأمم التي أشركت وكذبت. وأدمج في ذلك أن الله نجى المؤمنين من العذاب، وفي ذلك تذكير بنعمة الله على البشر؛ إذ أبقى نوعهم بالإنجاء من الطوفان. ومن مقاصد السورة: وصف أهوال من يوم الجزاء، وتفاوت الناس يومئذ فيه، ووصف فظاعة حال العقاب على الكفر، وعلى نبذ شريعة الإسلام، والتنويه بالقرآن، وتنزيه الرسول ﷺ عن أن يكون غير رسول، وتنزيه الله تعالى عن أن يقر من يتقول عليه، وتثبيت الرسول ﷺ، وإنذار المشركين بتحقيق الوعيد الذي في القرآن [1]

(١) البيان في عد آي القرآن، صـ ٢٥٣، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز ٤٧٨/١، ط المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ، والإتقان ٤٤٧/٢، والمخللاتي، القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، صـ ٣٢٣، ط بإذن من وزارة الإعلام، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م والتحرير والتنوير ١١٠/٢٩، ١١١، ط الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

المبحث الثاني: التنوع والتشاكل في قرائن سورة "الحاقة"

سيبدأ البحث بالحديث عن التنوع في قرائن السورة، وليس التشاكل والتساوي؛ وذلك لأن الأمر هنا ليس محكومًا بما ذكره البلاغيون من أن أحسن القرائن ما كانت متساوية على نحو ما سبق؛ لأن بلاغة القرآن الخاصة في هذا الجانب تأبى هذه الضوابط؛ فهي محكومة بمقاييس أخرى من مقتضيات النظم والإعجاز، ولا يسري عليها ما يسري في كلام الناس من ضوابط أو قواعد، وهذا هو ما يفرضه الإعجاز في هذا الباب من أبواب بلاغة القرآن، وفي غيره من جوانب الإعجاز الأخرى في نظم القرآن. ولقد جاءت السورة على نمط فريد من التنوع في قرائنها وفواصلها، والتي توزعت على مساحات متفرقة من السورة بما يتفق مع غرضها وسياقها العام، كما ارتبط هذا التنوع ارتباطا وثيقًا بأغراض السورة ومقاصدها...

ونرى هذا التنوع يمتد ويقصر في قرائن السورة، ونرى الفواصل تتفق وتختلف مع هذا الامتداد تبعًا للموقف والمشهد الذي تعرضه السورة؛ لأن السورة اشتملت على أغراض تتراحم فيما بينها من الحديث عن يوم القيامة، وتكذيب أمم الكفر به، وما حل بهم لتكذيبهم، وما سيكون بعدُ من وقوع الواقعة، وانشقاق السماء، وعرض الناس لا تخفى منهم خافية، وحال من يؤتى كتابه بيمينه، ومن يؤتى كتابه بشماله، وما يلحق الأخير من العذاب، ثم التأكيد على أن القرآن من كلام رب العالمين، وأن الرسول أمين فيما يبلغ من هذا التنزيل، وأنه تذكرة للمتقين، وأن الله يعلم بالمكذبين، وأن القرآن حسرة على الكافرين، وأنه حق اليقين، ثم الختام بتسبيح الله العظيم... إنها مواقف مختلفة، ومشاهد من الغيب متفرقة في الدنيا والآخرة... تقتضي هذه المشاهد أن تتنوع قرائنها وفواصلها تبعًا للمعنى الذي يعرض في كل مقطع من السورة؛ وذلك ليقف المتدبر عند كل موقف منها، ويدرك جلاله وخطره. وسيتم ذكر خصائص كل أفق من آفاق السورة حسب ترتيب آياتها، وبيان

ما يتميز به من ناحية التنوع في القرينة والفاصلة، وما يتبع ذلك من المعنى؛ مراعاة لاتساق النظم الذي هو سر الإعجاز.

الأفق الأول: القرائن القصيرة المتنوعة ذات الفواصل المتماثلة والمتكررة: (الحديث عن هول يوم القيامة):

جاء ذلك في مطلع السورة، في قوله: ﴿**الْحَاقَّةُ١ مَا الْحَاقَّةُ٢وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ٣**﴾ [الحاقة: ١-٣]. فهنا ثلاث قرائن: بدأت بـ «كلمة واحدة» [(١)]، ثم «كلمتين»، ثم «ثلاث كلمات» على هذا النحو من التدرج والامتداد...وعلى مستوى المعنى: فلقد بدأت القرينة الأولى في السورة بـ «كلمة واحدة» هي (الحاقة) التي تعني "يوم القيامة لأنه يوم محقق وقوعه؛ أو لأنه تحق فيه الحقوق، ولا يضاع الجزاء عليها؛ وإيثار هذه الصيغة يسمح باندراج معان صالحة بهذا المقام، فيكون من الإيجاز البديع لتذهب نفوس السامعين كل مذهب ممكن من مذاهب الهول والتخويف بما يحق حلوله بهم"[(٢)]، وقد وقعت مبتدأً، وهي مدخل وتمهيد لما يأتي بعدها.

---

(١) عد الكوفي "الحاقة" الأولى آية للمشاكلة والمساواة، والإجماع على عد مثله، ولم يعده الباقون لعدم انقطاع الكلام، وكونها مبنية على كلمة واحدة، ولا تكون الآية كلمة واحدة إلا في مواضع معينة. ويقول الداني: "وكذا من عد و"الطور"، و"الرحمن"، و"الحاقة"، و"القارعة"، و"العصر" رؤوس آي؛ فلمشاكلتها ما بعدها من رؤوس آي تلك السور؛ ولإجماعهم لأجل ذلك على عد و"الفجر"، و"الضحى"، ومن لم يعدها فلمخالفتها ما بعدها في القدر والطول". البيان في عد آي القرآن، صـ ١١٧، ٢٥٣، والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، صـ ٣٢٣، وعبد الرازق موسى، المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز، صـ ١٧٠، ط مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٢) الكشاف ١٩٤/٦، ط مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وحاشية الطيبي على الكشاف ٦٠٧/١٥، ط جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، تحقيق: مجموعة من الباحثين، والتحرير والتنوير ١١٢/٢٩

ثم جاءت القرينة الثانية (ما الحاقة) من «كلمتين»؛ حيث وقعت القرينة الثانية المتفقة معها في الفاصلة من كلمتين، وجاءت الزيادة فيها للاستفهام عنها " فـ "ما" اسم استفهام مستعمل في التهويل والتعظيم"[(١)]، وإثارة السؤال حولها لتستشرف كل نفس للنظر فيها؛ ولذلك جاءت القرينة على هذا النحو من الإيجاز. وقد جاء التصريح باسمها الظاهر في القرينة الثانية ﴿**مَا الْحَاقَّةُ٢**﴾ بدلًا من الضمير لأجل هذا التفخيم والتنبيه لشأنها، وبيان هول هذا الموقف يوم القيامة، فجاء وضع الاسم الظاهر موضع الضمير (ما هي) لتكون القرينة الثانية على نهج الأولى في المعنى؛ ولذا تكررت الفاصلة في الخاتمة مراعاة لهذا التوافق في المعنى.

ثم جاءت القرينة الثالثة لتتقدم خطوة أخرى أوسع من الثانية في التشويق والتهويل لشأنها، والتنبيه لخطرها، فجاءت القرينة الثالثة لتمتد إلى «أربع كلمات» ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ٣**﴾ ليمتد بها بيان خطر هذه الساعة العظيمة، وأعيد الاستفهام مع تكرار الفاصلة، وامتدت القرينة لامتداد هذا التهويل والتعظيم الذي اشتمل على استفهامين (وما أدراك)، (ما الحاقة)، فالأمر إذا تكرر تقرر، وهكذا تمتد القرينة لترتقي إلى غاية الغايات في بيان هول المطلع، وشدة الموقف.

وقد جاء مطلع السورة بهذه القرائن الثلاث ذات الامتداد القصير المتدرج لينسجم مع الموقف، فالغاية هنا بيان شدة هول المطلع يوم القيامة بأوجز لفظ لتذهب كل نفس فيه كل مذهب، وجاء هذا الترقي والامتداد لبيان أن الهول والشدة فيها أمر يفوق العلم والتصور!!

(١) الكشاف ١٩٤/٦

الأفق الثاني: القرينة القصيرة المُوَطِّئَة ذات الفاصلة المتوازنة (الحديث عن تكذيب "ثمود"، و«عاد» بالقيامة).

وذلك في الآية الرابعة: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤**﴾ [الحاقة:٤] حيث جاءت في «أربع كلمات» في قرينة واحدة لبيان تكذيب ثمود وعاد بالقارعة؛ وذلك تمهيدًا للحديث عما لحقهم من العذاب، ولكونها جاءت بين الحديث عن «الحاقة» في مطلع السورة، وبين الحديث عما لحق الأمم المكذبة من العذاب، وقد جاءت فاصلتها مختلفة عما قبلها، مع توازنها مع ما بعدها.

أما على مستوى المعنى: فلقد جاءت لبيان حال من كذب بهذه الحاقة، والتي وصفت هنا بالقارعة؛ وكأن وصفها هنا بذلك جاء ليتناسب مع حال هؤلاء الذين كذبوا بها من الأمم الهالكة: عاد وثمود، وقد جاءت هذه القرينة المتناسبة هنا "لأنه لما ذكر الحاقة، ووصف شدتها، وفخمها، أتبع ذلك ذكر من كذب بها، وما حل بهم بسبب التكذيب؛ تذكيرًا لأهل مكة وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم"(١)؛ وتقدم ذكر (ثمود) "من حيث أن بلادهم أقرب إلى قريش، وواعظ القرب أكبر وإهلاكهم بالصيحة وهي أشبه بصيحة النفخ في الصور المبعثر لما في القبور...

وكان الأصل أن يقال: «بها»، ولكنه أظهرها بوصف زادها عظمًا وهولًا فقال: ﴿**بِالْقَارِعَةِ**﴾: أي التي تقرع، أي تضرب ضربًا قويًا، وتدق دقًا عنيفًا شديدًا للأسماع، وجميع العالم بانفطار السماوات، وتناثر النيرات، ونسف الجبال الراسيات، فلا يثبت لذلك الهول شيء"(٢)

(١) الكشاف ١٩٤/٦ بتصرف يسير.

(٢) نظم الدرر ٣٤٢/٢٠، ط دائرة المعارف العثمانية، الهند، (١٤٠٤) هـ (١٩٨٩) م، بتحقيق محمد عمران الأعظمي.

ويبدو أنه لكون هذه القرينة جاءت رابطة لما قبلها من ذكر الحاقة، وموطئة لما بعدها من ذكر الأمم المكذبة بها؛ يبدو أنها اختلفت في الامتداد والفاصلة لما سبق.

الأفق الثالث: القرائن القصيرة والممتدة ذات الفواصل المتماثلة: (الحديث عن هلاك ثمود، وعاد، وبيان حال "عاد" بعد الهلاك).

وهنا أفق آخر من آفاق التنوع والامتداد في القرائن التالية في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ٨**﴾ [الحاقة: ٥–٨].

فعلى مستوى الألفاظ: هنا أربع قرائن: جاءت القرينة الأولى من «أربع كلمات» [(١)]، والتي تليها من «ست كلمات»، ثم «خمس عشرة كلمة»، ثم «خمس كلمات».

وجاء الحديث عن هلاك ثمود بالطاغية في قرينة من «أربع كلمات» ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾ ، وامتدت القرينة بعد ذلك عند الحديث عن عذاب عاد إلى «ست كلمات» ﴿**وأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾ ، وقد ذكرت ثمود أولًا، وقصرت القرينة في الحديث عن هلاكها؛ "لأن منازلهم في طريق أهل مكة إلى الشام في رحلتهم، فهم يرونها؛ ولأن العذاب الذي أصابهم من قبيل «القرع»؛ إذ أصابتهم الصواعق المسماة في بعض الآيات بالصيحة، والطاغية هي الصاعقة؛ وسميت بـ "الطاغية" لأنها متجاوزة الحد

(١) أي التي تتحدث عن ثمود وهلاكهم بالطاغية؛ وذلك لأنها هي التي تتفق مع فواصل ما بعدها، وتشترك معها في المعنى، أما ما قبلها فيتحدث عن تكذيب ثمود وعاد بالقارعة؛ ولذا اختلف الفاصلة فيها عما بعدها؛ فليتأمل!!

المتعارف عليه في الشدة، فشُبه فعلها بفعل الطاغي المتجاوز الحد في العدوان والبطش"(١)

والقرينتان قد اتفقتا في الفاصلة (بالطاغية... عاتية) نظرًا لأن الحديث فيهما عن العذاب لعاد، وثمود، فالمعنى فيهما متحد، كذلك الفاصلة بـ (العاتية) التي تعني شدة العصف، مع ما فيها من بلاغة الاستعارة [٢] وقد جاءت مشاكلة في المعنى لما قبلها في اشتمالها على بلاغة الاستعارة...

ولكن جاءت القرينة التي تتحدث عن ثمود أقصر؛ لأن عذابهم – فيما يبدو – كان جملة واحدة، أخذوا بالطاغية أو الصيحة التي استأصلتهم وأهلكتهم؛ حيث كانت من قبيل القرع كما سبق [٣]

ولما انتقل الكلام إلى عذاب «عاد» فارقت القرينة التي قبلها في عدد كلماتها لامتداد عذابهم بالريح الصرصر العاتية، مع ملاحظة التكرار في كلمة "الصرصر" الذي يدل على شدة الصوت وتكرره [٤]، ويلفت إلى دوامه وتتابعه؛ ولذا طالت القرينة التالية وامتدت لامتداد أيام عذابهم، ولتصوير حالهم بعد هذا العذاب المتتابع:﴿**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾ ، فجاءت

(٢) الكشاف ٦/ ١٩٤، والتحرير والتنوير ١١٦/٢٩ باختصار.

(٣) أصل العتو والعُتي: شدة التكبر، فاستعير للشيء المتجاوز الحد المعتاد تشبيهًا في التكبر الشديد في عدم الطاعة، والجري على المعتاد. التحرير والتنوير ١١٦/٢٩، وذكر السكاكي أن الجامع للاستعارة هنا هو الاستعلاء المفرط. المفتاح صـ ٥٠١، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٤) جعلت الطاغية وصفا لموصوف محذوف على سبيل المجاز، أي بالواقعة الطاغية، فحذف لرعاية التناسب بين القرينتين؛ لأن قرينتها ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ٦٠٨/١٥

(٥) وقيل: الباردة من شدة الصر، فكأنها التي تكرر فيها البرد وكثر، فهي تحرق لشدة بردها. الكشاف٦/١٩٤

القرينة في «خمس عشرة كلمة» لتصور لنا هذا العذاب الممتد لهذه المدة، مع بيان ما آلت إليه حالهم، مع ملاحظة وقوع القرائن القصيرة ذات الفواصل المتوازنة في وسط هذه القرينة الممتدة، وذلك في قوله ﴿**سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ**﴾ ؛ حيث جاء التوازن بين «ليال، وأيام» ليعطي القرينة تناسبًا داخليا في الفاصلة بعد التناسب في ختام الفاصلة، وهذا من مظاهر الإيقاع الرصين الذي يتسق مع المعنى، وينسجم مع مشهد امتداد العذاب، واستوائه في التسخير والشدة طوال هذه المدة. وقد جاء التلاؤم في الفاصلة أيضًا ملتحمًا مع التلاؤم السابق فيما مضى من الفواصل: «الطاغية... عاتية... خاوية»، مع الاستمرار في نهج التصوير الدقيق المعبر في الفاصلة، وفي بنية القرينة الداخلية في كلمة «حسومًا» [(١)]. ولكن اللافت هنا أن التصوير جاء بالتشبيه المركب؛ حيث " كانت الريح تقطع رؤوسهم كما تقطع رؤوس النخل"[(٢)]، فأبلتهم الريح، فصاروا كالنخل الخاوية[(٣)]، فالصورة في هذه القرينة جاءت بالتشبيه الذي يتلاءم مع بيان وكشف ما انتهى إليه حالهم وصورتهم في العذاب، " فالوصف هنا لتشويه المشبه به بتشويه مكانه"[(٤)]،

---

(١) لأن معنى "حسوما" إن كان جمعًا، أي نحسات حسمت كل خير، واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم؛ تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم. الكشاف٦/١٩٥

(٢) حاشية الجمل على الجلالين، ٤/٤١١، ط المطبعة العامرة الشرقية، القاهرة، ط ١ (١٣٠٢) هـ.

(٣) حاشية شيخ زاده ٨/٣١٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٤١٩) هـ (١٩٩٩) م، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، وحاشية القونوي ١٩/٢٦٢، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٤٢٢) هـ (٢٠٠١) م، تحقيق: عبد الله محمود عمر.

(٤) التحرير والتنوير ٢٩/١١٩

وهو ما يناسب امتداد القرينة وما تحمله من المعاني... والقرآن الكريم ينتقي من بلاغة التصوير للموقف ما يناسب كل موضع، فالاستعارة فيما سبق هي الأنسب للمقام، والتمثيل هنا هو الأنسب للحديث عما انتهى إليه حالهم في العذاب، وللتنفير من هذا المصير... فسبحان العليم الخبير!!

وتمضي القرينة التالية مع حركة المعنى فيما سبق، ولكنها هنا تأتي قصيرة في «خمس كلمات» فقط بعد الامتداد السابق الذي أشبع الكلام عن تسخير العذاب الحاسم عليهم، وتصوير حالتهم بعد الهلاك، جاءت قصيرة لتشير إلى الانتهاء والانقطاع والحسم ﴿**فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**﴾ ؛ إن قصر القرينة هنا يشير إلى الانتهاء والفناء، فلا مجال للبقاء بعد هذا العذاب الحاسم المتتابع، فلينقطع الكلام، وليقصر، وليقف عند هذا الحد، مع النظر والتدبر في الاستفهام بـ «هل» والذي خرج إلى معنى النفي(١)، وهو مما يزيد الروعة(٢)، أو لإنكار الرؤية كما ذكر بعض المفسرين (٣)، ويبدو لي في معنى الاستفهام هنا –فضلًا عما سبق – معنى التعجيب والاعتبار بهذه الحال التي لا مثيل لها في الاستئصال والعذاب.

والفاصلة هنا خاتمة لما سبقها من فواصل في معناها؛ ولذا شاركت ما قبلها في زنتها ومبناها:(الطاغية... عاتية... خاوية... باقية)، مع ما في التنكير في الفاصلة الأخيرة «باقية» من معنى الاستئصال الكامل، والخطاب هنا لغير معين، " و«الباقية» إما اسم فاعل، فيكون المقصود:

---

(١) عبد الكريم محمد يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه، إعرابه، صـ ١٥٥، ط مطبعة الشام، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

(٢)نظم الدرر ٣٤٦/٢٠

(٣)حاشية الجمل ٤١١/٤، وروح البيان ١٣٤/١٠ إسماعيل حقي البروسوي، ط مطبعة عثمان بك، مطبعة سي، استانبول، (١٩٢٨) م.

أي فما ترى منهم نفسًا باقية، وإما مصدرًا على وزن فاعلة، فيكون المقصود: أي فما ترى لهم بقاء، أي هلكوا عن آخرهم"(١)

ومما سبق نلمح حركة المعنى في القرائن السابقة امتدادًا وانحصارًا، فلما كان الحديث عن ثمود وقصر عذابها قصرت القرينة إلى «أربع كلمات»، ولما كان الحديث عن عاد وطول عذابها امتدت القرينة إلى «ست كلمات»، مع ما اشتملت عليه من دقائق بلاغية في بناء القرينة، ولما جاء تفصيل عذابهم، وتصوير حالهم امتدت إلى «خمس عشرة كلمة»، مع ما تخللها من القرائن الداخلية المتوازنة، ولما جاءت الإشارة إلى الاستئصال والهلاك، وانقطاع بقائهم عادت القرينة للقصر لتكون «خمس كلمات»، مع ما لحق كل موضع من لطائف بلاغية ناسبت المعنى والسياق... إن الامتداد والقصر في هذه القرائن هنا محكوم بالمعنى، ومعقود بالإعجاز؛ وقد سبقت الإشارة إلى بلاغة القرآن الخاصة في هذا الباب!!

الأفق الرابع: القرينتان المتشاكلتان، والفاصلتان المتوازنتان: (الحديث عن عصيان فرعون ومن قبله وهلاكهم). أفق آخر من آفاق التناسب والتشاكل (٢) في قرائن السورة، وقد جاء هذا التناسب عند الحديث عن تكذيب قوم فرعون ومن قبله من قوم لوط، وعصيانهم لرسل ربهم، وأخذهم بالعذاب، وجاء هذا التساوي في قرينتين متتابعتين في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ١٠**﴾ [الحاقة: ٩-١٠]، وقد عطفت هذه القرائن المتساوية على ما قبلها من الحديث عن تكذيب ثمود وعاد، " وفي عطف

(١) الكشاف٦/١٩٦، وحاشية شيخ زاده ٨/٣١٣، وتفسير أبي السعود٥/٣٨٣، ط مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، تحقيق: عبد القادر عطا، والتحرير والتنوير ٢٩/١١٩

(٢) الشكل: المثل، والمشاكلة: الموافقة، والتشاكل مثله. لسان العرب ٤/٢٣١٠، ط دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

هؤلاء على ثمود وعاد في سياق ذكر التكذيب بالقارعة إيماء إلى أنهم تشابهوا في التكذيب بالقارعة، كما تشابهوا في المجيء بالخاطئة، وعصيان رسل ربهم فحصل في الكلام احتباك"[(١)]، وقد جاءت كل واحدة منهما في «ست كلمات»، مع الاستمرار على نهج فاصلتي أوائل السورة من الانتهاء بهاء التأنيث، والاشتمال على التوازن في الأولى، والتماثل في الثانية؛ لاشتراكهما في الموضوع والغرض، وهو الحديث عن هلاك هؤلاء المجرمين.

لكن اللافت هنا أن القرينتين المتشاكلتين قد طال عدد كلماتهما عن القرينتين الأوليين في الأفق الثالث [(٢)] ليصل إلى «ست كلمات» في كل منهما، ويبدو لي أن هذا التساوي مع الامتداد الذي يربو على ما يقابلهما في الأفق الثالث، فيه ملمح إلى استمرار نهج الفساد والتكذيب الذي سلكته هذه الأمم، والتمادي في العصيان لرسالات الله تعالى؛ ولأن الجرم عند هؤلاء كان أكبر، والعناد والإصرار على التكذيب فيهم كان أعظم، على كثرة ما جاءهم من الآيات البينات، وهذا ظاهر في قوم فرعون خاصة.

وجاءت الفاصلة فيهم «متوازنة» في قوله ﴿**بِالْخَاطِئَةِ**﴾ ، وليست متماثلة لبيان هذه الخصوصية في شأنهم فيما يبدو؛ حيث إن فواصل الأفق الثالث قد اتفقت فيما بينها، واتفقت معها الفاصلة الثانية في هذا الأفق الذي يتحدث عن أخذهم أخذة رابية، فالكلام عنهم وعن عذابهم قد استغرق القرينتين، مع اشتمالهما على التساوي؛ إشارة إلى كونهم حال غريبة في التكذيب والعصيان استحقت أن يفرد الحديث عنها وحدها...

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/١٢٠

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦**﴾، أما الحديث عن تفصيل عذاب "عاد"، وبيان حالهم بعد الهلاك، فلقد امتد في القرينة الثالثة من هذا الأفق الثالث إلى خمس عشرة كلمة كما سبق.

الأفق الخامس: القرينتان القصيرتان المتنوعتان، والفاصلتان المتماثلتان: (الحديث عن هلاك قوم نوح، ونجاة المؤمنين).

مظهر آخر من مظاهر التنوع في قرائن السورة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ١٢**﴾ [الحاقة: ١١-١٢]. فعلى مستوى الألفاظ: هنا قرينتان: الأولى منهما جاءت في «سبع كلمات»، والثانية جاءت في «ست كلمات»، وعلى مستوى المعنى: جاءت الأولى لتصور ارتفاع الماء وعلوه على سطح الأرض زمن الطوفان في عهد نوح عليه السلام، وكيف أن الله تعالى حمل آباؤهم في السفينة التي صنعها نوح عليه السلام، وقد جاءت القرينة في سبع كلمات مناسبة للموقف؛ حيث إن الآية أشارت إلى صورتين مختلفتين: الأولى: ارتفاع الماء الذي صور في شدته الخارقة للعادة بطغيان الطاغي على الناس تشبيه تقريب [١]. الثانية: حمل الآباء في السفينة، وفيه تصوير آخر لعظيم المنة [٢]، "أي في السفينة التي جعلناها بحكمتنا عريقة في الجريان حتى كأنه لا جارية غيرها على وجه الماء الذي من شأنه الإغراق"[٣]

أما عن القرينة الثانية فلقد جاءت أقصر من الأولى بكلمة؛ حيث جاءت في «ست كلمات»؛ لأنها جاءت في سياق بيان السبب للعظة والعبرة، وفيها تعريض بالمشركين الذي لم يتعظوا بخبر الطوفان والسفينة التي نجا بها المؤمنون...وقد جاءت الفاصلة في القرينتين: (الجارية... واعية) متفقتان ومتماثلتان مع فواصل القرائن السابقة في الأفق الثالث،

(١) التحرير والتنوير ١٢٣/٢٩

(٢) وفي التعبير بـ "الحمل" مجاز عقلي، واستعارة. ينظر السابق ١٢٣/٢٩

(٣) نظم الدرر ٣٥٠/٢٠

والتي تحدثت عن عذاب ثمود وعاد؛ لاتفاقهما في الحديث عن هلاك الكافرين؛ " فبدأ الكلام عن ثمود لأنهم أقرب المهلكين إلى مكة؛ لأن التخويف بالأقرب أقعد، وختم بقوم نوح عليه السلام لأنهم جميع أهل الأرض، ولم يخف أمرهم على أحد ممن بعدهم"(١)

ويلمح هنا أيضًا اتفاق القرائن في الامتداد، ولكن في قرينتين فقط تبعًا للمعنى بخلاف الموضع السابق الذي جاء في أربعة قرائن تنوعت فيما بينها تنوعًا ظاهرًا في الامتداد والانحصار كما سبق، وكذلك في مطلع السورة الذي كان التنوع فيه في ثلاث قرائن فقط، مع ما في القرائن من قصر لمناسبة الحديث عن يوم القيامة.

الأفق السادس: الجمع بين القرائن القصيرة المتشاكلة، والمتنوعة، ذات الفواصل المتوازية والمتوازنة: (الحديث عن النفخ في الصور، ودك الجبال، ووقوع القيامة).

نجد هنا أفقًا آخر من آفاق التنوع والامتداد في السورة، وذلك تبعًا لانتقال السورة للحديث عن مشاهد من يوم القيامة، والنفخ في الصور، ووقع القيامة، وقد جاء في مطلع هذا الأفق الحديث عن القيامة في قرينتين متشاكلتين في عدد كلماتهما، وفي فاصلتيهما في الحديث عن النفخ في الصور نفخة واحدة، وحمل الأرض والجبال، ودكهما دكة واحدة في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ١٣وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ١٥**﴾ [الحاقة: ١٣-١٥]

(١) السابق ٢٠/٣٥٠، ٣٥١

اتفقت القرينتان في عدد كلماتهما دون حروفهما [١]، فجاءت كل واحدة في «ست كلمات»، وهما بسبب من المعنى مما تقدم؛ حيث سبب عن جميع ما مضى قوله ﴿**فَإِذَا نُفِخَ**﴾ "[٢] " حيث إنه لما أتم تهديدهم بعذاب الدنيا فرع عليه إنذارهم بعذاب الآخرة الذي يحل عند القارعة التي كذبوا بها كما كذبت بها ثمود وعاد، فحصل من هذا بيان للقارعة بأنها ساعة البعث، وهي الواقعة"[٣]

والنمط في فاصلتي القرينتين جاء على صورة تتناسب وتتلاءم مع شدة وهول المشهد: مشهد النفخ في الصور، ودك الأرض والجبال؛ حيث جاءت الفاصلتان بنفس الكلمة ﴿**وَاحِدَةٌ**﴾ مع اختلاف المشهد فيهما، وقد اتشحت بهذا التماثل والتكرار اللافت الذي ينسجم مع خطر الموقف، والذي ناسبه أن تختم القرينتان بنفس الكلمة نظرًا لهذا التشاكل الظاهر في طبيعة المشهد المصور فيهما، وما يقتضيه الموقف من العظم والشدة والهول.

وقد جاءت هاتان القرينتان كالتوطئة لما بعدهما من الحديث عن يوم القيامة، والعرض على الله تعالى، وبيان حال السعداء والأشقياء؛ فكان لهما من اتفاق القرائن في عدد الكلمات، واتفاق الفاصلة في نفس الخاتمة ما يجعلهما متفردتين في هذا الموضع من السورة.

---

(١) مما يلحظ هنا أن كلمات القرينتين قد اختلفتا في عدد الحروف فيما بينهما؛ حيث جاءت كلمات القرينة الأولى بحروف أقل من القرينة الثانية، وهذا جانب آخر من التنوع الداخلي في القرائن المتساوية يتصل بالمشهد والموقف المصور والمعنى فيهما، ويبدو – والله أعلم – أن الحديث عن هذه النفخة وإجمال ما وراءها من أحداث اقتضى قصر الكلمات في هذه القرينة بما ينسجم مع الموقف وسرعته، وجاء الطول في حروف القرينة الثانية نظرًا للتفصيل في الحديث عن دك الأرض والجبال وما فيهما. وهذا جانب آخر من التناسب الداخلي في القرائن المتشاكلة!!

(٢) نظم الدرر ٢٠/٣٥٢

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/١٢٠

" وقد قيل في النفخة "واحدة" مع أنهما نفختان؛ لأنه لا تثنى في وقتها، أي تقع النفخة الثانية بعدها بزمان"(١)، " وفائدة الإشعار بعظم هذه النفخة: أن المؤثر لدك الأرض والجبال، وخراب العالم هي وحدها غير محتاجة إلى أخرى"(٢) " ففيه بيان كمال القدرة حيث يكفي ضربة واحدة في كون الكل هباء منثورًا"(٣). إن حركة القرينتين مع الفاصلة هنا تتناغم وتنسجم مع جو المشهد وخطر الموقف بما فيه؛ تأكيدًا لسرعة الوقوع؛ حيث لا تحتاج إلا إلى نفخة واحدة لتقع الواقعة، ويبدو أنه لأجل ذلك قد قصرت القرينتان، مع تشاكلهما في عدد الكلمات والفاصلة!!

ثم جاءت بعدهما القرينة الثالثة على النصف منهما في عدد الكلمات «ثلاث كلمات» في قوله تعالى: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٥**﴾ [الحاقة: ١٥]؛ جاءت بما فيها من التأكيد والإيجاز كالختام لهذا المشهد لتبدأ فصول جديدة، ومشاهد أخرى من مشاهد القيامة...، وقد اتشحت بتجانس المناسبة بين ﴿**وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٥**﴾ ليضفي على المشهد صورة من القوة والشدة تتناسب مع الحديث عن شدة ذلك اليوم؛ فجاءت الفاصلتان الأوليان متماثلتين مع تشاكل القرينتين؛ لكونهما حديث عن مشاهد من القيامة، وجاءت الفاصلة الثالثة متوازنة، مع قصر القرينة واشتمالها على تجانس المناسبة؛ لكونها كالختام لهذا المشهد المنتهي بقيام الساعة.

الأفق السابع: القرائن القصيرة المتنوعة ذات الفواصل المتوازية: (الحديث عن انشقاق السماء، والملك الذي يحملون عرش الرحمن، والعرض). أفق جديد من آفاق التنوع في القرائن تبعًا لمواقف ومشاهد اليوم

(١) الكشاف ١٩٧/٦، وحاشية الطيبي على الكشاف ٦١٤/١٥

(٢) حاشية الانتصاف على الكشاف ١٩٧/٦

(٣) حاشية القونوي ٢٦٧/١٩

الآخر، وقد جاء في ثلاث قرائن تلتقي مع القرائن السابقة في الأفق الثالث، وجزء من الرابع، والخامس [١]

وقد جاءت القرينة الأولى في «خمس كلمات»، والثانية في «تسع كلمات»، والثالثة في «ست كلمات»، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ١٦ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ١٨**﴾ [الحاقة: ١٦-١٨].

ونلمح هنا أفقًا آخر من التغير في القرائن امتدادًا وانحصارًا تبعًا للمعنى واتساعه، وما فيه من هول في المشهد والموقف، فالمشاهد هنا تمتد وتتنوع...وهذا كله معقود برابطة من التلاؤم في الفاصلة؛ لأن المشاهد والمواقف وإن تنوعت فهي في يوم القيامة، وما فيه من أحداث....

وقد اشتملت هذه القرائن على أساليب من التصوير، والوصف بما يتناسب مع كل موقف وحال...ولقد جاءت القرينة الأولى في قوله تعالى ﴿**وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**﴾ لتعرض لنا صورة انشقاق السماء،

(١) والقرائن في هذه المواضع السابقة تتحدث عن هلاك ثمود وعاد واستئصالهم، وأخذ قوم فرعون بعد عصيانهم، وحمل الناس في الجارية لما طغى الماء في زمن نوح عليه السلام، وكونها عبرة وآية لتعيها أذن واعية... وهنا الحديث جاء عن أحداث القيامة، وما فيها أهوال وشدائد، فناسب أن تتلاءم الفاصلة، وتتنوع القرينة لكون الحديث عما سبق جاء بعد ذكر «الحاقة» في مطلع السورة، وما لحق بمن كذب بها، ومن بعدهم من الأمم الذين كانت قصتهم أشبه تلك القصص بالقيامة من حيث أن أمر الله فيها عم أهل الأرض في زمن يسير سبب عن ذلك ذكر النفخ في الصور، ووقوع الواقعة، وانشقاق السماء... نظم الدرر ٢٠/ ٣٥٢-٣٥٥ باختصار وتصرف.

وقد ضعفت، وخفَّت، وسقطت، واسترخت، ولم تتماسك بعد ما كانت محكمة مستمسكة [١]

وجاءت في «خمس كلمات» تتناسب مع الصورة والمشهد المعروض، مع ما اشتملت عليه الفاصلة في كلمة ﴿**وَاهِيَةٌ**﴾ من الاستعارة التي تفيد السهولة وعدم الممانعة، وما قيد به بـ ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ قبل نهاية الفاصلة لبيان أن الوهى طرأ عليها بعد أن كانت صلبة متماسكة [٢]، ونجد في القرينة التالية أفقًا آخر أوسع في المعنى من الأفق الأول في قوله تعالى: ﴿**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ ، وقد امتدت معه القرينة إلى «تسع كلمات»، أي ما يقرب من ضعف القرينة الأولى؛ لأن الحديث هنا عن الملائكة وقد انشقت السماء فينضوون إلى أطرافها وما حولها من حافاتها[٣]، وحمل الثمانية[٤] لعرش الرحمن، وفي الآية "تمثيل لعظمة الله تعالى، وتقريب ذلك إلى الأفهام"... وقد اتفقت القرينة مع ما قبلها في الفاصلة، وفي الكلمة التي قبل الفاصلة ﴿**يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾.. ﴿**يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**﴾ ؛ وذلك لما بينهما من الصلة والتناسب في المعنى الذي يجمعهما، وهو الهول والشدة، والحديث عن هول المشهد، وانشقاق السماء، وانتشار الملك

(٢) تفسير الكشاف ١٩٧/٦، وتفسير أبي السعود ٣٨٣/٥

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١٢٧/٢٩

(٤) تفسير الكشاف ١٩٨/٦

(٥) اختلف المفسرون في الثمانية: فعن الحسن: الله أعلم كم هم، أثمانية؟ أم ثمانية آلاف؟ وعن الضحاك: ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله، وقيل ثمانية أعشار، أي نحو ثمانين من مجموع عدد الملائكة، وقيل غير ذلك... وهذا من أحوال الغيب التي لا يتعلق الغرض بتفصيلها؛ إذ المقصود من الآية تمثيل عظمة الله تعالى، وتقريب ذلك إلى الأفهام. الكشاف ١٩٨/٦، ١٩٩، والتحرير والتنوير ١٢٧/٢٩، ١٢٨

على أرجائها... " وتكرير ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ أربع مرات لتهويل ذلك اليوم الذي مبدؤه النفخ في الصور، ثم يعقبه ما بعده مما ذكر في الجمل بعده"(١)

ونجد القرينة الثالثة في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ تنحصر بعد الامتداد فيما قبلها لتقف عند «ست كلمات»؛ وذلك لأنها بصدد الحديث عن «العرض»، وقد طُوي في هذه الجملة أحداث كثيرة في العرض يوم القيامة (٢)... "ففي الآية تشبيه للمحاسبة بعرض السلطان للعسكر لتعرف أحوالهم، وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية؛ لكن لما كان اليوم اسمًا لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب، وإدخال أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار صح جعله ظرفًا للكل"(٣).. وقد التأمت والتحمت مع ما قبلها في الفاصلة ﴿**خَافِيَةٌ**﴾ بينما جاء تكرار ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ في مطلع الجملة للتنبيه على هول اليوم وشدته، وقد شهدت من وجوه التناسب أيضا هذا التأكيد الذي جاء فيه الفاعل مجانسًا من نفس لفظ الفعل ﴿**لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ١٨**﴾ (٤)

---

(١) التحرير والتنوير ١٢٩/٢٩

(٢) عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **يُعْرَضُ النّاسُ يَوْمَ القِيامةِ ثَلاثَ عَرَضاتٍ، فأمّا عَرْضَتانِ فجدالٌ ومَعاذيرُ، وأمّا العَرْضَةُ الثّالثةُ فعِنْدَ ذلكَ تَطايَرُ الصُّحُفُ في الأيْدِي فآخِذٌ بيَمينِهِ وآخِذٌ بشِمالِه**" أخرجه أحمد والترمذي، وابن ماجة وغيرهم، وأخرج ابن جرير والبيهقي في البعث عن ابن مسعود نحوه.

(٣) الكشاف ١٩٩/٦، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٤١/٥ ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤١٨) هـ (١٩٩٨) م.

(٤) " فالجملة في محل نصب على الحال من ضمير ﴿**تُعْرَضُونَ**﴾ أي تعرضون حال كونكم لا يخفى على الله سبحانه من ذواتكم أو أقوالكم وأفعالكم وسرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا خافية كائنة ما كانت، والتقدير: أي نفس خافية أو فعلة خافية". فتح البيان في مقاصد القرآن ٢٩٤/١٤ ط المكتبة العصرية، بيروت، (١٤١٢) هـ (١٩٩٢) م، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري.

الأفق الثامن: القرائن المتنوعة ذات الفواصل المتوازنة والمتوازية: (الحديث عمن أوتي كتابه بيمينه، ومن أوتي كتابه بشماله). تنتقل بنا السورة بعد ذلك إلى أفق آخر، ومنزلة أخرى تختلف قرائنها في امتدادها، وعددها، وتتوازن وتتوازى في فاصلتها؛ تبعًا للمعنى، مع التناسب مع مقاصد السورة وغرضها العام، وقد جاء ذلك في «إحدى عشرة قرينة» تمثل القدر الأكبر من القرائن التي اشتملت على التعادل والتماثل في الفاصلة أو ختامها، وهي تنقسم إلى مجموعتين:

الأولى: والتي تتحدث عن المحسنين أهل السعادة، وقد جاءت في «ست قرائن»: الأولى منها في «تسع كلمات»، والثانية في «خمس كلمات»، والثالثة في «أربع كلمات»، والرابعة في «ثلاث كلمات»، والخامسة في «كلمتين»، والسادسة في «ثماني كلمات »، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ٢٤**﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

الثانية: والتي تتحدث عن المسيئين من أهل الشقاء، وقد جاءت في «خمس قرائن»: السابعة – في الترتيب – في «إحدى عشرة كلمة»، والثامنة، والتاسعة، والعاشرة في «أربع كلمات»، والحادية عشرة في «ثلاث كلمات»، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ٢٧ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ٢٩**﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩]

أما عن المجموعة الأولى: فبدأت القرينة الأولى من هذه الفرائد بـ «تسع كلمات» في قوله تعالى ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾ ؛ لتفصل الإجمال السابق في القرينة التي قبلها، والتي تحدثت عن «العرض» يوم القيامة، فجاءت لتفصل أحوال الناس في العرض: المحسن منهم والمسيء، وقد بدأت بمن أوتي بكتابه بيمينه، مبتدأة

بـ "فاء التفصيل" لما تضمنه ﴿**تُعْرَضُونَ**﴾ ، و «**أَمَّا**» حرف تفصيل وشرط [١]، وقد اشتملت هذه الجملة القرآنية على إيجاز لافت؛ حيث طُويَ فيها إيتاؤه لكتابه، وسروره وفرحته بهذه الحال التي أعلنها على رؤوس الخلائق والملائكة... فاقتضى الحال أن يطول الكلام عن صاحب هذه الحال، وما يتبعها من شدة الموقف... وقد جاءت «هاء السكت» في ﴿**كِتَابِيَهْ**﴾، و ﴿**حِسَابِيَهْ**﴾ عند الحديث عن حال المحسن، وحال المسيء، كما جاءت ﴿**مَالِيَهْ**﴾، و ﴿**سُلْطَانِيَهْ**﴾ في تفصيل ندم المسيء، وهذا من التناسب اللافت للسياق والمعنى في هذه القرائن وفواصلها، وللانتقال إلى موقف آخر من مواقف القيامة ومشاهدها... وحق هذه «الهاءات» في فواصل هذه القرائن أن تثبت في الوقف، وتسقط في الوصل، ولكنها أثبتت في هذه الآيات في الحالين عند جمهور القراء[٢]، فأجري الوصل مُجرى الوقف، أو وُصل بنية الوقف فيما يرى السمين الحلبي[٣]، وقد ذكر الزجاج أن الوقوف على هذه «الهاءات» لأنها أدخلت للوقف؛ ولأنها رؤوس آيات، فالوجه أن يوقف عندها [٤].

وهذا تأويل عام لم ينفذ إلى سر الفاصلة، وقد أشار البقاعي إلى سر ذلك بقوله:" قوله ﴿**اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾ وهاؤه للسكت، كأنها إشارة إلى شدة الكرب في ذلك اليوم للدلالة على أنه إذا كان هذا السعيد يسكت في كل جملة للاستراحة لا يقدر في الكلام على المضي، فما الظن بغيره؟ وتشير

(١) التحرير والتنوير ١٢٩/٢٩

(٢) الكشاف ١٩٩/٦، وحاشية الطيبي على الكشاف ٦٢٣/١٦، والتحرير والتنوير ١٣١/٢٩

(٣) الدر المصون، ٤٣٣/١٠، ط دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢١٧/٥، ط عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

أيضا مع ذلك إلى فراغ الأمر، ونجازة الجزم به والوثوق بأنه لا يغير"[١]، وذكر الماوردي أن الهاء في ﴿**كِتَابِيَهْ**﴾ ونظائرها موضوعة للمبالغة [٢]

ويبدو لي – إضافة إلى ما تقدم – أن هذه القرينة ختمت بفاصلة مغايرة لما قبلها من فواصل السورة في سياق هذا المشهد؛ لأنها حال تستوجب وتستحق الوقوف عندها، والنظر فيها، وكأنها دعوة للصمت والسماع من جميع أهل الموقف لهذه الحال التي بدأها بقوله ﴿**هَاؤُمُ**﴾، أي خذوا كتابي فاقرأوه... ولذلك جاءت القرينة التي بعدها على نهج الفاصلة الأولى، وإن كان امتدادها من «خمس كلمات» ﴿**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾ ؛ لأن السابقة اشتملت على حال شديدة من الكرب امتدت معها القرينة كما مضى، وهنا تأكدت السلامة والنجاة، فهو قد تيقن [٣] ملاقاة الحساب والجزاء، فالآية في موقع التعليل للفرح والبهجة التي دل عليها قوله ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾ [٤].

انتقلت القرائن بعدها إلى مستوى آخر من التنوع لاختلاف المشهد، وانتقال المؤمن المحسن إلى حال أخرى بعد النجاة من الموقف، والانتقال إلى النعيم، وانتقلت معها الفاصلة أيضا لتعود إلى نهج الفاصلة التي قبل

(١) نظم الدرر ٣٦١/٢٠

(٢) تفسير النكت والعيون ٨٣/٦، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، تحقيق: السيد عبد الرحيم

(٣) أي علم، فالظن هنا بمعنى العلم. قال الضحاك: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك، وقال الحسن في هذه الآية: إن المؤمن أحسن بربه الظن فأحسن العلم، وإن المنافق أساء بربه الظن فأساء العمل. النكت والعيون ٨٣/٦

(٤) التحرير والتنوير ١٣٢/٢٩

هذا المشهد [١]، ولكنها قد اشتملت على التوازن [٢] والتناسب في الإيقاع مع هذه الفاصلة على نحو فريد من الارتباط والتناسب في المعنى والجرس...

وقد جاءت القرائن في كلماتها على نهج بديع من التناسب مع المعنى، فجاءت الأولى في «أربع كلمات»، والثانية في «ثلاث كلمات»، والثالثة في «كلمتين»، والرابعة في «ثماني كلمات»، وذلك في قوله تعالى ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ٢٤**﴾ . فلما جاء الكلام عن حياته في الجنة جاءت القرينة قصيرة في «أربع كلمات» ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ٢١**﴾ ، ولكن صورت الرضا على أعلى ما يكون من المبالغة في الشدة والقوة؛ حيث أسند الوصف إلى غير ما هو له؛ فبسببها سرى الرضى إلى العيشة نفسها، ولو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها، ففيه كناية عن رضا صاحبها على الوجه الأبلغ [٣]

وجاءت القرينة بعدها في «ثلاث كلمات» في قوله تعالى: ﴿**فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ**﴾ للإشارة إلى رفعة المنزلة والمكان، فهي مرتفعة المكان لأنها في السماء السابعة، ومرتفعة في الدرجات والأبنية والأشجار، وفي كل اعتبار [٤]، وجاءت التي بعدها في «كلمتين» في قوله تعالى ﴿**قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**﴾ لتتناسب مع دنو هذه القطوف، وكونها سهلة التناول فيما يبدو، فقصرت القرينة لمناسبة المعنى، مع الاتفاق في نفس الفاصلة للتناسب، وقد امتدت القرينة بعد ذلك إلى «ثماني كلمات» في قوله ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ٢٤**﴾ لامتداد الحديث عن المآكل والمشارب

(١) أي في الفاصلة المختومة بهاء التأنيث وقبلها ياء فيما سبق من فواصل.
(٢) أي الاتفاق في الوزن دون "التقفية". الإيضاح ٨٧/٤، ومعترك الأقران ٣٩/١
(٣) نظم الدرر ٣٦٣/٢٠، والتحرير والتنوير ١٣٣/٢٩
(٤) نظم الدرر ٣٦٣/٢٠، وحاشية الجمل ٤١٥/٤

وما فيها من التنوع عوضًا عما قدمتم من صيام وطاعة في الأيام الخالية... فناسب امتداد المعنى امتداد القرينة، واتفاق الفاصلة... وبعد أن انتهى الحديث عن أهل السعادة في القرائن «الست السابقة»، انتقل الكلام إلى الحديث عن أهل الشقاء وحالهم [1] في المجموعة الثانية من القرائن «الخمس الثانية»، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ٢٧ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ٢٩**﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩]

وقد قصرت القرائن في هذه المجموعة عن الأولى بقرينة واحدة، وجاءت متنوعة في امتدادها تبعًا لحالة الندم، والعبارة عنه من هذا المسيء المحروم... وقد اتفقت في فواصلها المنتهية بـ «هاء السكت» مع المجموعة الأولى في قرينتين فقط، وامتدت فيها فاصلة «هاء السكت» لتسري في القرينة قبل الأخيرة، والأخيرة منها، ولم تعد إلى نهج الفاصلة الأولى «المنتهية بتاء قبلها ياء» إلا في موضع واحد فقط، بخلاف المجموعة الأولى؛ حيث اتفقت مع هذه المجموعة في فاصلتين فقط جاءتا بـ «هاء السكت» في القرينة الأولى والثانية، وعادت بعدها إلى النهج الأول من الفواصل المنتهية بالتاء وقبلها ياء على النحو التالي:

(٧) يقول البقاعي:" ولما كانت العادة جارية بأن أهل الأرض ينقسمون إلى مقبول ومردود، وذكر سبحانه المقبول، وبدأ به تشويقاً إلى حاله، وتغبيطًا بعاقبته، وحسن مآله، أتبعه المردود تنفيرًا عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله" نظم الدرر ٣٦٦/٢٠، وحاشية الجمل ٤١٦/٤

المجموعة الأولى – أهل السعادة (ست قرائن)			المجموعة الثانية – أهل الشقاء (خمس قرائن)		
القرينة	الفاصلة	عدد الكلمات	القرينة	الفاصلة	عدد الكلمات
الأولى	هاء السكت	(٩) كلمات	الأولى	هاء السكت	(١١) كلمة
الثانية	هاء السكت	(٥) كلمات	الثانية	هاء السكت	(٤) كلمات
الثالثة	هاء التأنيث	(٤) كلمات	الثالثة	هاء التأنيث	(٤) كلمات
الرابعة	هاء التأنيث	(٣) كلمات	الرابعة	هاء السكت	(٤) كلمات
الخامسة	هاء التأنيث	كلمتان	الخامسة	هاء السكت	(٣) كلمات
السادسة	هاء التأنيث	(٨) كلمات	ـــــ	ـــــ	ـــــ

وإذا انتقلنا للنظر في التناسب المعنوي وراء هذا التنوع في امتداد القرائن، والتوازن والتوازي في الفواصل رأينا أن كل ذلك يخضع لطبيعة المشهد والموقف، فالقرينة الأولى هنا التي تتحدث عن هذا المسيء الذي أوتي كتابه بشماله قد جاءت في «إحدى عشرة كلمة» في قوله تعالى:﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ**﴾ والكلمات هنا ملؤها حسرات وتندم، وتمنٍّ للمحال...وقد طالت هنا القرينة لطول هذا الندم، وقد عبر هنا بالبناء للمجهول في قوله ﴿**أُوتِيَ**﴾ للدلالة على ذل الأخذ، وعدم قدرته على الامتناع عن شيء يسوءه [(١)]، وقد ختم هذا المشهد بـ «هاء السكت» للإشارة إلى الانقطاع واليأس والاستسلام، وللوقوف ندمًا وتأسفًا على ما فات، ولا أنسب لهذا الموقف من فاصلة الآية... ويتبع ذلك ندم وتحسر وتمنٍّ آخر في القرينة الثانية، والتي اشتملت على الاستفهام في **(ما)** في قوله تعالى ﴿**وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ**﴾، فالمقصود بيان استمرار نهج الندم والحسرة؛ ولذا فهو يستفهم لبيان أنه يتمنى أن لو كان لا يدري ما حقيقة حسابه، "فالاستفهام هنا للتعظيم والتهويل على حد ﴿**مَا الْحَاقَّةُ٢**﴾ ،

(١) نظم الدرر ٣٦٦/٢٠

والمعنى: لم أدر عظم حسابي، وشدته، وشناعته، ولم أدر حقيقة حسابيه من ذكر العلم والجزاء، بل استمريت جاهلا كذلك كما كنت في الدنيا"[١]

وقد جاءت القرينة هنا في «أربع كلمات»، مع انتهائها بـ «هاء السكت» للإشارة إلى حالة الندم، والتحسر الذي يسكت فيه المتأسف وينقطع حينًا، ولا تسعفه العبارة؛ فتأتي قصيرة لعجزه عن الكلام، واستيلاء الندم على عقله وفكره..[٢]؛ فجاءت القرينة بفاصلتها صورة حية لهذا الندم والانقطاع كأننا نراها رأي العين...، وجاءت بعدها القرينة الثالثة من «أربع كلمات» في قوله ﴿**يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ**﴾ أيضًا لأن التندم والتحسر لا يزال مستمرًا، ولم يعطف هذا التمني على الأول؛ لأن المقصود التحسر والتندم [٣]. ولكن اللافت هنا أن القرينة مع استمرارها على النهج السابق لها في عدد الكلمات قد اختلفت فيها الفاصلة التي جاءت على «هاء التأنيث»، وليس «هاء السكت» كما سبق فيما قبلها، وما سيكون فيما بعدها؛ وذلك – فيما يبدو – لأن المشهد هنا الذي تخلل هذا الندم والتحسر تصاعدت فيه حالة التأسف والتحسر إلى أقصى درجة، وهي تمنيه أن تكون الموتة التي كانت في الدنيا[٤] هي القاضية القاطعة لأمره، فلم يبعث بعدها، وقد أوثر في هذه الفاصلة هذا «التوازن» لكونها فريدة في تصوير وصول هذا النادم

(١) حاشية الجمل ٤/٤١٦

(٢) وفي مجيء هذه الفاصلة بـ «هاء السكت» إشارة إلى الوقوف عندها للعظة والعبرة، والنظر والتأمل في هذه العاقبة، فهي أحق ما يقف العقل والفكر عنده على نحو ما سبق في الحديث عن المحسن صاحب النعيم، ولكن هناك وقفة للتأمل في حالة الفرح والسرور والنعيم الذي لا يعقبه شقاء، وهنا وقوف للتأمل في حالة الحسرة والتندم والشقاء الذي لا يعقبه نعيم!!

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/١٣٥

(٤) تفسير الجلالين، صـ ٥٦٧، ط مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

إلى قمة الحسرة، ولكنها قد احتفظت بالتلاؤم الذي يشير إلى تناسب وارتباط المعنى مع ما قبلها وما بعدها(١)

وتمضي القرينة قبل الأخيرة في هذه المجموعة على نسق ما سبقها في عدد كلماتها؛ حيث جاءت في «أربع كلمات» في قوله تعالى:﴿**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ**﴾، ولكنها عادت إلى فاصلة «هاء السكت»؛ لأنها متصلة بها في الحديث عن استمرار الندم والتحسر والانقطاع الذي رأيناه فيما سبق، وهو الذي اقتضى أن تقصر العبارات، وتتلاءم الفواصل لتشير إلى هذه الحال من الخزي والأسف، ولكن هنا نوع آخر من الندم لصاحب المال والسلطان، فهو إما إنه ينفي نفع ماله تأسفًا على ما كان يرجوه ويأمله من نفعه له، وإما إنه يستفهم إنكارًا على نفسه وتوبيخًا لها (٢)، ويلحظ هذا التناسب الصوتي الذي يسري في كلمات القرينة من خلال التجانس في ﴿**أَغْنَى عَنِّي**﴾ مع قصر الكلمات، ومناسبة الفاصلة، وهي نبرة من الحزن والأسى تنتهي بهذا الانقطاع والسكوت المتكرر الذي نراه عند كل فاصلة من فواصل هذا الموقف...

وتأتي بعد ذلك قرينة الختام لهذه المجموعة الفريدة في «ثلاث كلمات» في قوله تعالى: ﴿**هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ٢٩**﴾ ؛ فلقد زال عنه كل ما كان يملك على نفسه ودينه وعيشه، فلم يعد يملك شيئًا (٣)، وقصرت القرينة هنا لتشير إلى حالة الندم والتحسر واليأس، والانقطاع عن الكلام، وانتهائه

(١) وهو ما يلحظ أيضا في نهج المجموعة الأولى في جانب «التوازي والتوازن» في الفواصل؛ حيث جاءت فواصلها على نحو ما جاء في المجموعة الثانية، ولكن مع الاختلاف في عددها وامتدادها؛ تبعًا لكل موقف ومشهد...

(٢) نظم الدرر ٣٦٧/٢٠، وحاشية الجمل ٤١٦/٤

(٣) التفسير البسيط، علي بن محمد الواحدي، ١٧٦/٢٢، ١٧٧، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

عند هذا الحد، وقد ختمت بـ «هاء السكت» لتناسب كل أحوال الانقطاع، والعجز، واليأس لهذا المحروم المسيء!!

الأفق التاسع: القرائن القصيرة المتدرجة ذات الفواصل المتوازية والمطرَّفة: (الحديث عن العذاب المتصاعد لمن أوتي كتابه بشماله): تنتقل الآيات إلى مشهد آخر لحال هذا المسيء، فبعد موقف الندم الذي مضى، وما فيه من اليأس والانقطاع والندم، يأتي مشهد العذاب والألم... وقد جاء في ثلاث قرائن في قوله تعالى: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ٣٢**﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢]

وقد جاءت هذه القرائن مغايرة للقرائن السابقة قبلها في ترتيب امتدادها وتدرجها، وفي فاصلتها؛ حيث بدأت قصيرة في «كلمتين»، ثم في «ثلاث كلمات»، ثم في «سبع كلمات» تبعًا للمعنى، وجاءت مغايرة لما قبلها في الفاصلة لملاءمة المعنى في هذا الموقف؛ حيث جاءت على الهاء قبلها واو في الأولى والثانية للتوازن، وجاءت في القرينة الثالثة من النوع المطرف...

فقد جاءت القرينة الأولى من «كلمتين» في قوله تعالى ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوه**﴾ [1] على هذا النحو من الإيجاز لتشير إلى موقف الأخذ للعذاب، وما فيه من سرعة في الأخذ والغَلِّ.

وقصرت العبارة لقصر العمل وسرعته معًا، وجاءت بعدها القرينة الثانية في «ثلاث كلمات» في قوله تعالى ﴿**ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ**﴾، وقد صدرت بـ (ثم) للتراخي الرتبي؛ لأن مضمون الجملة المعطوفة أشد في العقاب من أخذه ووضعه في الأغلال[2]؛ ولذا طالت الفقرة الثانية عن الأولى، مع

(١) قوله (خذوه) معمول لقول مقدر، وهو سؤال نشأ مما سبق، كأنه قيل: وما يفعل به بعد هذا التحسر الصادر منه؟ فقيل: يقال من قبل الله للزبانية: خذوه الخ. حاشية الجمل ٤/٤١٦

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/١٣٧

الاتفاق والتوازن في الفاصلة، وما تحمله كلمتا الفاصلتين من التشديد في اللام (فغلُّوه... صلُّوه) للإشارة إلى قوة الغل والقيد، وتكرار الغمس في النار فيكون كالشاة المصلية مرة بعد أخرى(١)، وما تشعر به هذه الهاء العجيبة في ختام الفاصلتين من الانتهار والجذب، والإهانة، وعود الضمير الغائب في هذه الفواصل على هذا الكافر، وعدم ذكره على سبيل الإهانة والزراية به، فليس أهلًا لأن يذكر حتى...

وتأتي القرينة الثالثة وتمتد إلى «سبع كلمات»، وتمتد فيها الفاصلة أيضًا في قوله تعالى ﴿**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ٣٢**﴾ لتصور لنا امتداد العذاب، فلما طال العمل طالت القرينة، وقد صدرت بـ (ثم) أيضًا للتراخي الرتبي (٢)؛ وذلك لما بينهما من التفاوت في الشدة (٣)؛ لأن مضمونها أعظم؛ فمضمون ﴿**فَاسْلُكُوهُ**﴾ دل على إدخاله الجحيم، فكان إسلاكه في تلك السلسلة أعظم من مطلق إسلاكه الجحيم (٤)

وجعلها سبعين ذراعًا لإرادة الوصف بالطول، أي مرات كثيرة؛ لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد، والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية، أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم؛ لأنها كلما التفت عليه صارت كأنها وعاء له (٥)

---

(١) نظم الدرر ٣٦٨/٢٠، ٣٦٩

(٢) فالمراد تفاوت المراتب في العذاب.... فيدل على أن ما بعدها أشد مما قبلها.. تفسير الرازي ١١٥/٣٠، وحاشية ابن التمجيد ٢٧٨/١٩

(٣) أي بين المعطوف والمعطوف عليه، أي جمع اليدين والتصلية بالجحيم، وبين التصلية والسلك في السلسلة، والتصلية أشد من الغل، والسلك أشد من التصلية... حاشية القونوي ٢٧٨/١٩

(٤) التحرير والتنوير ١٣٧/٢٩

(٥) الكشاف ٢٠١/٦، وحاشية الطيبي على الكشاف ٦٢٦/١٥

وقد امتدت القرينة وتصاعدت لما في هذا الموقف من الشدة، والصعوبة، والإرهاق، والعمل، والتدرج، وختمت بفاصلة مغايرة في الوزن لما قبلها لتناسبها في المعنى، وهو الحديث عن هذا العذاب المتصاعد على هذا الكافر الجاحد...

ويلحظ هنا هذا التناسب بين حرف السين والذال في كلمات القرينة، وقد تكررت السين في كلمة ﴿**سِلْسِلَةٍ**﴾ لتشير إلى تكرر هذا الأمر بمعاونة كلمة ﴿**فَاسْلُكُوهُ**﴾ التي تفيد شدة الضيق والإرهاق، والالتصاق؛ ولذا جاء التعبير بتقديم ﴿**فِي سِلْسِلَةٍ**﴾ على ﴿**فَاسْلُكُوهُ**﴾ (١) للاختصاص (٢)

فانتظم من هذه القرائن الثلاث هذا المشهد للعذاب المتصاعد درجة بعد درجة، مع ما فيه من التوالي والتتابع، وامتدت معه القرينة في كل موضع لامتداد شدة العذاب، وزيادة ضيقه، وغايرت الفاصلة الأخيرة ما قبلها لتلك المناسبة...

الأفق العاشر: القرائن القصيرة المتنوعة ذات الفواصل المتوازنة والفاصلة المغايرة: (الحديث عن سبب هلاك من أوتي كتابه بشماله، وطعامه في النار).

تنتقل بنا السورة إلى مشهد آخر يتصل بمشهد العذاب المتقدم، وفيه وجه آخر من التنوع مع اشتمال الفواصل على التوازن، واختلاف القرينة الأخيرة عما قبلها في الامتداد والفاصلة لأجل المعنى.

وقد جاءت هذه المجموعة الفريدة في خمس قرائن في قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ٣٤**

(١) قال الرازي: معنى سلكه في السلسلة: أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أجزاؤها، وهو فيما بينها مزهق مضيق عليه لا يقدر على حركة... تفسير مفاتيح الغيب ١١٥/٣٠، ط دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

(٢) الدر المصون ٤٣٦/١٠، وحاشية القونوي ٢٧٨/١٩

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ٣٧﴾ [الحاقة: ٣٣-٣٧]. جاءت القرينة الأولى في «ست كلمات» في قوله تعالى ﴿**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ٣٣**﴾؛ لأنها حديث عن تركه للإيمان بالله، وهو أمر عظيم [(١)]، ووصف الله (جل وعلا) بـ «العظيم» هنا إيماء إلى مناسبة عظم العذاب لعظم الذنب؛ إذ كان الذنب كفرانًا بعظيم، فكان جزاءً وفاقًا [(٢)]

وهذه الجملة وما بعدها تعليل لما سبق من الحديث عن أخذه وغله، وبيان للأسباب التي أدت به إلى هذا العذاب، فطريق الاستئناف في التعبير هنا أبلغ، كأنه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك [(٣)]، ولكن اختلفت فاصلة هذه القرينة عما قبلها لاختلاف المعنى، وهو الحديث عن العلل والأسباب التي أردته في الهلاك، كما امتدت القرينة عما بعدها للغاية نفسها؛ فهي مفتتح الحديث عن أصل العلل التي ساقت إلى عذابه...

وقد جاءت بعدها القرينة الثانية في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ من «خمس كلمات»، فجاءت أقصر من الأولى في الامتداد، واختلفت فاصلتها لاختلاف المعنى؛ لأن القرينة تتحدث هنا عن شدة بخله وحرصه، وهذا السبب يأتي بعد الأول في الخطر؛ لأن الأول حديث عن الإيمان، والجحود فيه أعظم، فامتد فيه الكلام، وافتتحت به هذه

(١) يقول البقاعي:" ولما كانت عظمة الملك موجبة لزيادة النكال لمن يعانده على قدر علوها، وكان الذي أورث هذا الشقي هذا الخزي هو تعظمه على أمر الله وعباده، أشار إلى أنه لا يستحق العظمة غيره سبحانه فقال: ﴿**العظيم**﴾ أي الكامل العظم" نظم الدرر ٢٠/٣٧٠

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/١٣٨

(٣) الكشاف ٦/٢٠١

القرائن، «وقد جعل عدم الحض على طعام المسكين مبالغة في شح هذا الشخص عن المساكين بمال غيره، وكناية عن الشح عنهم بماله» [١]

وتأتي بعد ذلك القرينة الثالثة في قوله تعالى: ﴿**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ**﴾ في «خمس كلمات» استمرارًا لبيان الأسباب التي ساقته إلى ما هو فيه، وقد شاكلت هذه القرينة ما قبلها في «عدد كلماتها».

واختلفت معها في الفاصلة التي اتفقت مع فاصلة القرينة الأولى «العظيم... حميم» في ختامها، والتعبير بـ «الحميم» في الفاصلة هنا مما ينسجم مع شدة الموقف، فـ «الحميم»: القريب الذي يدفع عنه، ويحزن عليه؛ لأنهم يتحامونه ويفرون منه، وهو كناية عن النصير [٢]؛ فالموقف أكبر وأشد من أن يدفع عنه أحد مهما كان قربه؛ لأن الحميم أيضًا هو القريب المشفق، فكأنه الذي يحتد حماية لذويه [٣]، فلن يدفع عنه قريب مشفق، ولا نصير محامي، ولا صديق يحترق له...

وقد جاءت بعدها القرينة الرابعة في قوله تعالى ﴿**وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ**﴾ في «خمس كلمات» لتتساوي مع القرينة السابقة في «عدد كلماتها»، وتختلف في فاصلتها ﴿**غِسْلِينٍ**﴾، مع اشتمالها على التوازن الذي يربط بينها وبين ما قبلها في المعنى، فجملة ﴿**وَلَا طَعَامٌ**﴾ معطوفة على ﴿**حَمِيمٌ**﴾. والغسلين: غسالة أهل النار، وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم، ويلزم من هذا الطعام أن يكون تحت غيره ليسيل ماء غسالته إليه [٤]،

(١) التحرير والتنوير ١٣٩/٢٩

(٢) الكشاف ٢٠٢/٦، والتحرير والتنوير ١٤٠/٢٩

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، صـ ١٣٠، ط دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

(٤) الكشاف ٢٠٢/٦، ونظم الدرر ٣٧٢/٢٠، ٣٧٣

وقد دخل الحصر هنا على الصفة ﴿**إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ**﴾ [١]، والقرينة هنا إكمال لما جاء قبلها من حديث عن هلاكه وعذابه، فلا صديق ينفعه، ولا طعام يأكله، ولذلك تساوت القرينتان في عدد الكلمات، واختلفتا في الفاصلة المتوازنة لاختلاف طبيعة العذاب والمشهد...

وجاءت القرينة الخامسة والأخيرة في هذه المجموعة في قوله تعالى ﴿**لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ**﴾ في «أربع كلمات» لتقصر في عددها عما قبلها، وتختلف فاصلتها ﴿**الْخَاطِئُونَ**﴾؛ وذلك لأنها بمثابة الخاتمة لما سبق من الحديث عن العذاب، مع ما اشتملت عليه من القصر، والتعريف في الفاصلة التي جاءت فذة فريدة، مغايرة لما قبلها، "فالتعريف هنا للدلالة على الكمال في الوصف، أي المرتكبون أشد الخِطأ، وهو الإشراك"[٢]، فانحصر الامتداد في القرينة، واختلفت الفاصلة لكونها تمثل النهاية، والختام لما تقدم من الحديث عن هؤلاء الجاحدين المعذبين...

الأفق الحادي عشر والأخير: القرائن القصيرة المتنوعة ذات الفواصل المتنوعة: (بيان أن القرآن تنزيل من رب العالمين، وأنه تذكرة للمتقين، وأنه حق اليقين، والأمر بتسبيح الله العظيم).

تنتقل بنا السورة بعد ذلك إلى الأفق الأخير الممتد، والأكثر تنوعًا في قرائن السورة وفواصلها؛ نظرًا للمعاني التي تعرضها السورة في هذه المجموعة، والتي اقتضت أن تتنوع القرائن القصيرة فيها، ويتبع ذلك تنوع الفواصل توازيًا، وتوازنًا وتماثلًا، وتغايرًا؛ فتقوم كل قرينة مع فاصلتها بدورها في اتساق وانسجام المشهد.

وقد تفرع الحديث هنا عما اقتضاه تكذيبهم بالبعث من التكذيب بالقرآن الذي أخبر بوقوعه، وتكذيب الرسول ﷺ القائل إنه موحى إليه من الله

(١) الدر المصون ٤٣٧/١٠

(٢) التحرير والتنوير ١٤٠/٢٩

تعالى [١]، وبيان أن القرآن تنزيل من رب العالمين، وأنه تذكرة للمتقين، وأنه يعلم بأن منهم مكذبين، وأنه حسرة الكافرين، وأنه حق اليقين، إلى أن ينتهي الكلام والسورة بتسبيح رب العالمين "تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه، وشكرًا على ما أوحى إليك"[٢]

ومن لطائف هذا الجزء الأخير من السورة ودقائقه: ما جاء فيه من الإشارة إلى الإعجاز في فواصل القرآن الكريم، ومباينته لكلام الشعراء والكهان، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ٤٢**﴾ [الحاقة: ٤١-٤٢]. فختمت الأولى بـ ﴿**تُؤْمِنُونَ**﴾، والثانية بـ ﴿**تَذَكَّرُونَ**﴾، "ووجه ذلك أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة وواضحة لا تخفى على أحد؛ فقول من قال شعر، عناد وكفر محض؛ فناسب ختمه بـ ﴿**تُؤْمِنُونَ**﴾، وأما مخالفته لنظم الكهان، وألفاظ السجع فتحتاج إلى تدبر وتذكر؛ لأن كلًا منهما نثر، فليست مخالفته لهما في وضوحها لكل أحد كمخالفة الشعر، وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن من الفصاحة والبلاغة، والبدائع والمعاني الأنيقة؛ فحسن ختمه بـ ﴿**قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ٤٢**﴾"[٣]؛ فإدراك الأمر في إعجاز فواصل القرآن يحتاج إلى تأمل ليدرك الفرق بينه وبين كلام الكهان وأصحاب الأسجاع... [٤]

---

(١) التحرير والتنوير ١٤١/٢٩

(٢) أنوار التنزيل ٢٤٣/٥

(٣) معترك الأقران ٣٥/١

(٤) وأما انتفاء كون القرآن قول كاهن فمحتاج إلى أدنى تأمل إذ قد يشبه في بادئ الرأي على السامع من حيث إنه كلام منثور مؤلف على فواصل ويؤلف كلام الكهان على أسجاع مثناة متماثلة زوجين زوجين، فإذا تأمل السامع فيه بأدنى تفكر في نظمه ومعانيه علم أنه ليس بقول كاهن، فنظمه مخالف لنظم كلام الكهان؛ إذ ليست فقراته قصيرة ولا فواصله مزدوجة ملتزم فيها السجع، ومعانيه ليست من معاني الكهانة الرامية إلى الإخبار عما يحدث لبعض الناس من أحداث، أو ما يلم بقوم من مصائب متوقعة ليحذروها، فلذلك كان المخاطبون بالآية منتفيًا عنهم التذكر والتدبر، وإذا بطل هذا وذاك بطل مدعاهم فحق أنه تنزيل من رب العالمين كما ادعاه الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم. التحرير والتنوير ١٤٣/٢٩ باختصار.

فأصحاب الأسجاع كلامهم مؤلف على أسجاع مثناة متماثلة زوجين زوجين، ولا يرضى الساجعون أن يأتوا بقرينة لا أخت لها، ويعدون ذلك عيًا وعيبًا رديئًا، وكذا تطويل السجعة عن قرينتها وتضعيفها على عديلتها لا يرضى به ساجع، ولو أنه هاجع، ومباينة النبي ﷺ للكهنة ظاهرة جدًا، فإن الكاهن من ينصب نفسه للدلالة على الضوائع، والإخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة، ويكذب كثيرًا، ويأخذ الجعل على ذلك، ويقتصر على من يسأله [١]

فعدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند، ومباينته للكهانة تتوقف على تذكر أحوال الرسول ﷺ، ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم [٢]

قلت: وأدلة ذلك وشواهده في "فواصل القرآن" كلها ساطعة كالشمس لمن أبصر وتذكر...، ومن دلائله الخاصة وشواهده البينة هنا: "سورة الحاقة" موضع البحث بما فيها من هذا الإعجاز العجيب في فواصلها وقرائنها بما فيها من التنوع والتشاكل الذي لاح شيئا من سناه وإعجازه فيما مضى...

وكذلك في هذا الجزء الأخير من السورة بما تميز به من فرائد تضاف إلى ما تقدم من آفاق الإعجاز في الفواصل... وإذا انتقلنا بعد هذه التوطئة – التي لا بد منها – [٣] لنتأمل في هذا الجزء الأخير من السورة، وجدنا أنه قد اشتمل على خمس عشرة قرينة في قوله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا**

---

(١) نظم الدرر ٢٠/٣٧٧ باختصار.

(٢) أنوار التنزيل ٥/٢٤٣

(٣) وذلك لما في هذا الجزء من السورة من الإشارة إلى مباينة فواصل القرآن لكلام الكهان كما تقدم... هذا، وممن بسط الكلام في تفصيل ما سبق: البقاعي في نظم الدرر ٢٠/٣٧٦-٣٧٨

تُبْصِرُونَ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ٤٢ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ٤٧ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ٤٨ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ٤٩ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ٥٠ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ٥١ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ٥٢﴾ [الحاقة: ٣٨-٥٢]

وقد افتتحت القرينة الأولى منها بالقسم بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة [١] مما يدخل في عالم الشهادة، وما يدخل في عالم الغيب [٢] في قوله تعالى ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ**﴾، وجاءت في «أربع كلمات»، وجاءت بعدها القرينة الثانية في قوله تعالى ﴿**وَمَا لَا تُبْصِرُونَ**﴾ في «ثلاث كلمات» على هذا النحو الفريد من الإيجاز لاتساع المعنى، مع اتفاق الفاصلتين في نفس الكلمة.

وقد اشتملت الفاصلتان على الطباق فيما بينهما لبيان عموم القسم، وشموله كل ما لا تخرج عنه القسمة، وجاءت القرينتان على نسق عجيب من الإيجاز الذي يشمل كل ما لا تتسع له العبارة من عالم الشهادة في ﴿**تُبْصِرُونَ**﴾ الذي جاء مثبتًا، وكل ما هو من عالم الغيب في

(١) الكشاف ٢٠٣/٦

(٢) يقول السمين الحلبي في قوله تعالى (فلا أقسم): قيل إن (لا) نافية لفعل القسم، وكأنه قيل: لا أحتاج إلى أن أقسم على هذا، لأنه حق ظاهر مستغن عن القسم. وقال البقاعي: أي لا يقع مني إقسام... لأن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى إقسام، وإن كنت أقسم في غير هذا الموضع بما شئت من أفراد هذا المجموع... ويرى أبو السعود العمادي أن حمله على معنى نفس الإقسام لظهور الأمر واستغنائه يرده تعيين القسم (بما تبصرون وما لا تبصرون) الدر المصون، ٤٩٣/١٠، ونظم الدرر ٣٧٤/٢٠، وإرشاد العقل السليم٣٨٦/٥

﴿**لَا تُبْصِرُونَ**﴾ الذي جاء منفيًا؛ فتكفي الإشارة، ويفسح المجال للنفس لتتصور أفراد هذا المجموع... (١)

وجاء جواب القسم في القرينة الثالثة في قوله تعالى ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ في «أربع كلمات»، مع ما اشتملت عليه هذه القرينة من التأكيد بـ (إنَّ، واللام) على أن القرآن يقوله الرسول ﷺ ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (٢)، وقد جاءت الفاصلة ﴿**كَرِيمٍ**﴾ (٣) مغايرة لما قبلها؛ للإشارة إلى أن الرسول ﷺ في غاية الكرم الذي هو البعد عن مساوئ الأخلاق، وشرف النفس والآباء، فهو النفيس الأفضل(٤)، وإضافة القول إلى الرسول لأنه الذي بلَّغه؛ فالإضافة الاختصاصية تدل على اختصاص القول بالرسول من حيث التبليغ(٥)؛ ولذا خالفت الفاصلة ما قبلها للإشارة إلى هذا المعنى، والله أعلم.

---

(١) يقول السمين الحلبي: أقسم على شيئين: أحدهما مثبت، والآخر منفي، وهو من البلاغة الرائعة. الدر المصون ٤٣٩/١٠

(٢) الكشاف ٢٠٣/٦

(٣) والمراد هنا بـ ﴿**رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ الرسول ﷺ ؛ لأنه تعالى لما قال: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ ، قال بعده: إنه ليس بقول شاعر ولا كاهن، والقوم ما كانوا يصفون جبريل بالشعر والكهانة... وأما في سورة "كورت" لما قال: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ [التكوير:١٩] قال بعده: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ٢٥**﴾ [التكوير: ٢٥] ... فأسند تارة إلى رسول الله ﷺ، وأخرى إلى جبريل عليه السلام؛ لأنه يكفي في صدق الإضافة أدنى سبب، فهو كلام الله من حيث إنه تكلم به، وهو كلام جبريل لأنه هو الذي أنزله من السماء، وهو كلام محمد صلوات الله عليه؛ لأنه هو الذي أظهره للخلق، ودعاهم إلى الإيمان به، وجعله حجة لنبوته. حاشية الطيبي على الكشاف ٦٣١/١٥

(٤) فكرم الشيء: اجتماع الكمالات اللائقة به فيه. حاشية الجمل ٤١٨/٤، وينظر التحرير والتنوير ١٤٢/٢٩

(٥) وقوله قول الحق كما قال: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى٣**﴾ [النجم: ٣]، وكما قال: ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٦]. روح البيان ١٤٨/١٠

وجاءت القرينة الرابعة في قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ**﴾ في «سبع كلمات»، مع قصر الامتداد للرد على ما زعمه المشركون – كفرًا وعنادًا – في القرآن الكريم، وفي الرسول ﷺ. وقد عطفت هذه القرينة على الجواب في القسم السابق، وجاءت بعدها القرينة الخامسة في قوله تعالى ﴿**وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ في «ست كلمات» بأن قصرت عن الأولى بكلمة واحدة؛ وذلك فيما يبدو لأن الكذب والباطل في قولهم أن القرآن شعر، وقائله شاعر أشنع وأقبح من الثاني؛ لأن كون القرآن ليس بشعر أمر بديهي؛ فهم يعرفون الشعر وأوزانه وقوافيه معرفة يستوي فيها جميعهم، فاقتضى المقام أن يبدأ به ويطول الكلام عنده شيئا من الطول؛ ولذا ختمت الفاصلة بـ (تؤمنون)؛ لأن ادعاءهم أنه قول شاعر بهتان متعمد ينادي على أنهم لا يرجى إيمانهم [١]

وأما القرينة الخامسة فقد قصرت في الامتداد عن الأولى؛ لأن الأمر في إدراك أنه ليس بقول كاهن يدرك (بأدنى تأمل) [٢] عند النظر في أحوال الرسول ﷺ، ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم [٣]، وجاء نمط القرائن والفواصل في تناسبها من الفن المرصع الذي تتفق فيه القرائن في الزنة والختام [٤] نظرًا لما بينها من التناسب في المعنى، مع ملاحظة إدغام تاء التفعل في فاصلة ﴿**تَذَكَّرُونَ**﴾ لتأكيد أمر القلة والخفاء؛

(١) التحرير والتنوير ١٤٣/٢٩

(٢) بل لا يتوقف على تأمل قطعًا. تفسير أبي السعود ٣٨٧/٥

(٣) "ففي الإيمان مع قول الشعر، والتذكر مع نفي الكهانة؛ لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند كافر، بخلاف مباينته للكهانة فإنها تتوقف على النظر في أحوال الرسول ﷺ، ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم" كما سبق. أنوار التنزيل ٢٤٣/٥، وتفسير أبي السعود ٣٨٧/٥، وحاشية الجمل ٤١٨/٤، ٤١٩

(٤) معترك الأقران ٣٩/١

فمباينته للكهان لا تحتاج إلى غير تذكر قليل"[١]، فناسبت الفاصلة في مبناها قرينتها في معناها.

وجاءت القرينة السادسة في قوله تعالى ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ في «أربع كلمات» خبرًا ثانيًا عن اسم (إنَّ)، أو خبرًا لمبتدأ محذوف... وتكون الجملة استئنافًا بيانيًا؛ لأن القرآن لما وصف بأنه ﴿**لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾، ونفى عنه أن يكون قول شاعر أو قول كاهن، ترقب السامع معرفة كنهه، فبين بأنه منزل من رب العالمين على الرسول الكريم ليقوله للناس ويتلوه عليهم. و ﴿**تَنْزِيلٌ**﴾ وصف بالمصدر للمبالغة. والمعنى: إنه منزل من رب العالمين على الرسول الكريم [٢]، وقد جاءت القرينة هنا قصيرة في امتدادها، والفاصلة مغايرة لما قبلها؛ لأن المقام مقام تأكيد وقطع بأن القرآن من عند رب العالمين؛ مما يقتضي أن تكون الجملة هنا على هذا النحو من الإيجاز الذي هو كالعنوان الذي يعرف به القرآن، والوصف الجامع لكل معاني الصدق، واليقين، والرسوخ في الحق... فلا يملك المنصف أمام هذا الوصف إلا التسليم، والإيمان والإذعان...وفي هذه الكلمات الأربع من الإيجاز ما يعجز القلم عن وصفه، وقد تضمنت الرد على كل ما مضى من مزاعم المشركين الكاذبة والباطلة في حق القرآن الكريم، وفي حق الرسول ﷺ ...

وننتقل في هذه المجموعة الفريدة من السورة إلى أفق آخر من التنوع في قرائن السورة وفواصلها في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحْ بِاسْمِ**

(١) نظم الدرر ٣٧٨/٢٠

(٢) التحرير والتنوير ١٤٤/٢٩

رَبِّكَ الْعَظِيمِ٥٢﴾. وقد امتد هذا الجزء إلى «تسع قرائن» اشتملت على «ثلاث فواصل» متغايرة لمناسبة المعنى في كل موضع، مع الاختلاف في الامتداد لذات الغرض، فجاءت القرينة الأولى منها – والسابعة في هذه المجموعة – في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ**﴾ في «خمس كلمات»، وهي معطوفة على قوله ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ٣٩**﴾؛ فمفاد هذه الجملة استدلال ثانٍ على أن القرآن منزل من عند الله تعالى على طريقة المذهب الكلامي، بعد الاستدلال الأول المستند إلى القسم والمؤكدات على طريقة الاستدلال الخطابي. وهو استدلال بما هو مقرر في الأذهان من أن الله واسع القدرة، وأنه عليم فلا يقرر أحدًا على أن يقول عنه كلامًا لم يقله، أي لو لم يكن القرآن منزلًا من عندنا ومحمد ادعى أنه منزل منا، لما أقررناه على ذلك، ولعجلنا بإهلاكه. فعدم هلاكه ﷺ دال على أنه لم يتقوله على الله، فإن (لو) تقتضي انتفاء مضمون شرطها لانتفاء مضمون جوابها"[(١)]، وجاءت القرينة هنا في «خمس كلمات»، مع اشتمالها على فاصلة ﴿**الْأَقَاوِيلِ**﴾ الفذة، والتي ختمت باللام وقبلها ياء، وهي فاصلة مغايرة لما تقدمها، وما تلاها من فواصل السورة، فلم تتوازن أو تتوازى مع ما قبلها وما بعدها، بل ولم تتكرر في السورة كلها [(٢)]، وجاءت وسطًا بين الطول والقصر في عدد كلماتها.

وختمت بهذه الفاصلة الفريدة والعجيبة في جمعها، مع ما سبقها في القرينة من ذكر التقول ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ٤٤**﴾، "فالتقول: افتعال القول؛ لأن فيه تكلفا من المفتعل؛ وسمى الأقوال المتقولة: "أقاويل" تصغيرًا بها وتحقيرًا، كقوله الأعاجيب والأضاحيك، فكأنها جمع أفعولة من القول، والمعنى :ولو ادعى علينا شيئًا لم نقله لقتلناه صبرًا، كما يفعل الملوك

(١) السابق ١٤٤/٢٩، ١٤٥

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤٧٨/١

بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام، فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول: وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته"[١]، فجاءت هنا الفاصلة فريدة في جمعها لما تقدم، ولبيان غرابة فرض هذا المحال، فهو جمع لمفرد غير مستعمل [٢]، فجاءت الفاصلة بهذه الكلمة الفذة المغايرة لما تقدمها وما تلاها، لبيان أنه لا يمكن أن يكون ذلك، ولو فرض أن يكون – مع امتناعه واستحالته – لما أمكن في أقل شيء، وهو الذي عبر عنه بـ ﴿**بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ**﴾ ...

وقد جاءت القرائن التي تلتها من الثانية إلى الثامنة (الثامنة إلى الرابعة عشرة في هذه المجموعة) في قوله تعالى: ﴿**لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١**﴾ لتفصل الجزاء والعقاب الذي سيكون مع فرض هذا المحال الذي تقدم، ولبيان أن القرآن أو الرسول ﷺ تذكرة للمتقين، وأن الله يعلم بأن منهم مكذبين، وأن القرآن حسرة وندامة على الكافرين يوم القيامة حين يشاهدون ثواب المؤمنين، وأنه عين اليقين ومحضه لكونه من عند الله تعالى، فلا يحوم حوله ريب... وقد جاءت القرائن الثلاث الأولى على نسق من الامتداد والتدرج بما يتناسب مع المعنى الذي تصوره الآيات، كما اتفقت فواصلها "المُطرَّفة"[٣] فيما بينها لذات الغرض؛ حيث إنها تدور

---

(١) الكشاف ٢٠٣/٦، ٢٠٤

(٢) فهي جمع "قول" على غير قياس، أو جمع "أقوال"، فهو جمع الجمع، كأناعيم جمع أنعام. روح المعاني ٥٤/٢٩، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(٣) الفواصل المطرفة: ما اتفقت في ختامها، واختلفت في الوزن. وسمي هذا النوع مطرفا؛ لأنه خارج في التوغل في الحسن إلى الطرف، أو لأن ما وقع فيه من التوافق وهو الاتحاد بين الفاصلتين إنما هو الطرف، وهو الحرف الأخير، دون ما يعم، وهو الوزن. معترك الأقران ٣٩/١، ومواهب الفتاح ٤٤٦/٤، ٤٤٧ط، ط دار البيان العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

حول معنى واحد، وهو الحديث عن الجزاء الذي سيكون في حال فرض المحال من تقول الأقاويل... وقد جاءت القرينة الثانية مما تقدم في «ثلاث كلمات» في قوله تعالى: ﴿**لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**﴾؛ لأن الآية حديث عن الأخذ بدون إمهال، فاقتضى المقام قصر الكلام، وكني بـ "اليمين" التي جاءت في الفاصلة للاهتمام بالتمكن من المأخوذ؛ لأن اليمين أقوى عملًا من الشمال لكثرة استخدامها فنسبة التصرف إليها شهيرة [١]، وفسرت "اليمين" بالقوة، أي أخذنا قوته، كما فسرت بالحق، وبالقدرة، وبقطع اليد اليمنى، وبالأخذ بيمينه على سبيل الإذلال، كما يقال لما يراد به الهوان: خذوا بيده.. [٢]

وهذه التأويلات لا يأباها السياق، وتدور حول الأخذ بقوة للعذاب، مع ما في هذا الأخذ من الإذلال والإهانة، وقد اجتمعت هذه المعاني في هذا الفاصلة الدقيقة، مع قصر القرينة للدلالة على ما سبق.

وجاءت القرينة الثالثة بعدها، وقد امتدت إلى «أربع كلمات» في قوله تعالى ﴿**ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾، وقد امتدت بكلمة واحدة عما تقدمها؛ لأن الحديث هنا عن صورة أقوى من الأخذ الأول، والمعنى لأخذناه أخذًا عاجلًا فقطعنا وتينه، والوتين: نياط القلب، وهو حبل الوريد الذي إذا قطع مات صاحبه، وهو يقطع عند نحر الجزور، فشبه عقاب من يفرض تقوله على الله بجزور تنحر، فيقطع وتينها [٣]، والفاصلة هنا قد تلاءمت مع سابقتها؛ فهي متفقة معها في ختامها لكونها تفصيلًا للأخذ المتقدم، مع ما في كلمة ﴿**الْوَتِينَ**﴾ من المناسبة لمعنى القرينة، وتناسبها صوتًا؛ فقد خلعت على

(١) التحرير والتنوير ١٤٦/٢٩

(٢) النكت والعيون ٨٦/٦، ٨٧ باختصار.

(٣) الكشاف ٢٠٤/٦، والنكت والعيون ٨٧/٦، والتحرير والتنوير ١٤٦/٢٩

الكلام وجوهًا من الحسن التقت مع صورة الأخذ والقطع التي تعرضها الآيات.

وتأتي بعد ذلك القرينة الرابعة، وقد امتدت إلى «ست كلمات» في قوله تعالى ﴿**فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾، وهي متصلة بما تقدم، فلن يدفع أحد عنه القتل، وقد جاءت الفاصلة متلائمة مع ما تقدمها في ختامها؛ لاتصالها في المعنى، وقد أخبر بـ ﴿**حَاجِزِينَ**﴾، وهو جمع؛ لأن «أحد»، وإن كان لفظه مفردًا، فهو في معنى الجمع؛ لأن «أحد» إذا كان بمعنى ذات أو شخص لا يقع إلا في سياق النفي مثل: عَريب، وديَّار ونحوهما من النكرات التي لا تستعمل إلا منفية فيفيد العموم، أي كل واحد لا يستطيع الحجز عنه ويستوي في لفظه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث[1]؛ فجاء الامتداد هنا في القرينة لامتداد المعنى؛ فمهما كثر الجمع لن يستطيع أحد الدفع؛ ولذا جاءت الفاصلة بصيغة الجمع فيما يبدو.

ونمضي إلى القرينة الخامسة، والتي عاد فيها الكلام إلى القرآن الكريم، وقد جاء العطف على قوله ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾، فبعد أن أبطل الطعن على القرآن، وعلى الرسول الكريم ﷺ، عاد النظم الجليل لبيان أن القرآن تذكرة للمتقين... وقد جاءت القرينة الخامسة هنا في «ثلاث كلمات» في قوله تعالى:﴿**وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾، مع الاتفاق في الفاصلة، والتي جاءت هنا وكأنها عنوان آخر للقرآن الكريم إلى جوار العنوان المتقدم في قوله تعالى:﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، وقد اتفقت الفاصلتان في اشتمالهما على الحسن المُطرَّف، مع الإيجاز في العبارة لكون الكلام جرى مجرى القاعدة والمثال القائم، والشاهد الحق، فتأتي العبارة على هذا النحو من الإيجاز ليكون مثلًا، وحكمة، وقاعدة في تصوير شأن القرآن الكريم... ولما

(١) التحرير والتنوير ١٤٧/٢٩

كان الكلام فيما مضى عن تنزيل القرآن جاءت القرينة في «أربع كلمات»... ولما انتقل الكلام لبيان كونه تذكرة جاءت القرينة في «ثلاث كلمات»؛ فالقرينة السابقة حديث عن أصل القرآن ومصدره، والقرينة هنا حديث عن عمله وهدايته للمؤمنين، وقد حملت هذه الجملة – مع وجازتها – معانٍ كثيرة يضيق عنها المقام [1]، مع ما اشتملت عليه من التأكيد؛ فهي عطف على جواب القسم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾، فهي من جملة المقسم عليه [2]، وقد أكدت بـ (إنَّ)، واللام على نحو على ما تقدم فيما عطفت عليه من جملة جواب القسم...

وجاءت القرينة السادسة في «خمس كلمات» في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ**﴾، وهي ممتدة عن التي قبلها ﴿**وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾، والتي بعدها ﴿**وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾، والتي جاءت في «أربع كلمات»، وهي القرينة السابعة، "فهي تمهيد وتوطئة للثانية، وهي معترضة بين التي قبلها والتي بعدها"[3]؛ ولذا طالت القرينة فيها وامتدت؛ لكونها حديثًا عن المكذبين، مع ما اشتملت عليه من تأكيد العلم بهؤلاء المكذبين... وقد اتفقت هذه القرينة المعترضة مع ما تقدمها وما تلاها في الفاصلة؛ "لكونها مرتبطة في المعنى كما سبق، وكان تقديمها على قوله ﴿**وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ اهتمامًا بتنبيه المكذبين إلى حالهم، ولكونها أيضًا بمنزلة «التتميم» لجملة ﴿**وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾، وقد قوبلت صفة

(١) ينظر في بيان كون القرآن تذكرة: تفسير التحرير والتنوير ١٤٨/٢٩

(٢) فتح البيان ٣٠٤/١٤، والتحرير والتنوير ١٤٨/٢٩

(٣) التحرير والتنوير ١٤٩/٢٩

القرآن التي تنفع المتقين بصفته التي تضر بالكافرين على طريقة التضاد، فبين الجملتين المتعاطفتين محسن الطباق"[١]

وقد جاءت القرينة السابعة في قوله تعالى:﴿**وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ في «أربع كلمات»، وقد غايرت ما تقدمها في عدد كلماتها؛ لكونها حديث عن ندم الكافرين يوم القيامة لما يروا من ثواب المؤمنين المصدقين بالقرآن الكريم... وقد جاءت القرينة الثامنة في قوله تعالى:﴿**وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ**﴾ في «ثلاث كلمات»، وقد عطفت على الجملة التي قبلها، "والضمير هنا للقرآن [٢]، وقد ناسبت الفاصلة ما تقدمها؛ وذلك لكونها بيانًا لصدق القرآن، ومطابقته للواقع، وأنه حق لا ريب فيه، مع ما في إضافة الصفة إلى الموصوف من بيان أن القرآن أمر ثابت لا يقبل الشك، فهو يقين مؤكد بالحق، أي اليقين الحق، فالحق صفة للمتيقن به، وهو القرآن [٣]

وقد جاءت الفاصلة بـ "اليقين" لتتلاءم مع ما قبلها من الفواصل التي تحدثت عن القرآن الكريم، وجاءت من إضافة الصفة إلى الموصوف على هذا النحو لنرى تمكنها في موضعها؛ فهي حديث عن ثبوت القرآن وصدقه، وكونه مطابقًا للواقع على أبلغ ما يكون التصوير لشأن القرآن، وهي إضافة إلى معاني القرائن التي تقدمتها، والتي جاءت كالعنوان، والمثل للقرآن

على نحو ما مضى في قوله تعالى: ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، وقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾؛ ولذا جاءت على هذه الصورة الفريدة من الإيجاز العجيب....

---

(١) حاشية الطيبي ٦٣٤٦٣٤/١٥، والتحرير والتنوير ١٤٩/٢٩،

(٢) الكشاف ٢٠٤/٦، ويرى بعض المفسرين أن الضمير للقرآن أو للجزاء يوم الجزاء. النكت والعيون ٨٨/٦، ونظم الدرر ٣٨٤/٢٠

(٣) حاشية الجمل ٤٢٠/٤، وحاشية القونوي ٢٨٦/١٩

وتأتي بعد ذلك خاتمة السورة بهذه القرينة الفذة [١] في قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، وقد جاءت في «أربع كلمات» على هذا النحو من الإيجاز البديع، وهي " تفريع على جميع ما تقدم من وصف القرآن وتنزيهه عن المطاعن، وتنزيه النبي ﷺ عما افتراه عليه المشركون؛ وعلى ما أيده الله به من ضرب المثل للمكذبين به بالأمم التي كذبت الرسل، فأمر النبي ﷺ بأن يسبح الله تسبيح ثناء وتعظيم شكرا له على ما أنعم به عليه من نعمة الرسالة وإنزال هذا القرآن عليه"[٢]؛ ولكونها ختامًا لما تقدم جاءت على هذا النحو من الإيجاز المقتضي لتنزيه الله وتسبيحه لكل ما تقدم، مع ما في كلماتها الأربع من التناسب الصوتي الذي يربط بين ألفاظها ومعانيها، وهذا التجانس بين مطلعها ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ﴾ ، مع الإضافة وخصوصيتها في ﴿رَبِّكَ﴾، والتي تفيد معنى الإيجاد والتربية والإحسان إليك غاية الإحسان [٣]

ومما زاد في تناسب هذا الختام الفريد فاصلة (التعظيم) التي ناسبت مطلع الآية معنىً، وتلاءمت معها جرسًا، وناسبت مقاصد السورة نظمًا،

(١) وقد جاءت نفس القرينة في ختام "سورة الواقعة" أيضًا، ولم تأت في موضع آخر من القرآن الكريم؛ لأن ما ذكر في سورة الواقعة من حديث عن يوم القيامة، وبيان أحوال أصحاب اليمين والشمال، وبيان آيات الله في الخلق والكون، وبيان شأن القرآن الكريم لمما يقتضي تسبيح الله وتعظيمه، فهي آيات للعظمة والقدرة تستحق التنزيه والتعظيم لله... وهنا تلتقي سورة الحاقة مع سورة الواقعة في ختامها، وفي بعض مقاصدها: كالحديث عن يوم القيامة(الواقعة... الحاقة)، وبيان حال أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، والحديث عن القرآن والمكذبين، مع التنوع في تفصيل ذلك وبيانه.

(٢) التحرير والتنوير ١٥١/٢٩

(٣) نظم الدرر ٣٨٥/٢٠

وتلاحمت مع ما قبلها إيقاعًا وصوتًا [١]؛ فحازت الكمال والجمال والتناسب من كل جانب.

ومن أسباب قصر القرائن في هذه المجموعة من السورة: أنها جمعت قسمًا، وبيانًا لكون القرآن قول رسول كريم، وكونه تنزيلًا من رب العالمين، وأنه لا يمكن فيه فرض المحال، وهو التقول على الله، وأنه حسرة على الكافرين، وأنه حق اليقين، ثم الأمر بتسبيح رب العالمين على نحو ما سبق من التفصيل. وهو سياق يقتضي أن تقصر العبارات، وتتلاحق، وتتابع الجمل هذا التتابع اللافت الذي يتسق ويتناسب مع النظم؛ فهو تأكيد وتأييد، وقوارع وحجج، وتنبيه وتحذير، يناسبه أن تتنوع الجمل والفواصل تنوعًا لا نجده في غير هذا الأفق الأخير من السورة.

(١) أي اشتملت على الموازنة، وهي اتفاق الفاصلتين في الوزن دون الختام، وهي لون من ألوان الازدواج والتعادل في النظم.

المبحث الثالث: إحصاء بقرائن سورة "الحاقة" وفواصلها

جاءت **قرائن السورة** في «اثنتين وخمسين آية»، وأكثرها من «القرائن القصيرة المتنوعة»، ولم تأت «القرائن الممتدة والطويلة» إلا في موضعين من السورة لمناسبة المعنى في كل ذلك؛ لأن السورة من السور المكية، وهي من «سور المُفصَّل»، ومن طواله التي تمتد إلى «عم»(١)، والقرائن القرآنية تَقْصر في هذا القسم من القرآن؛ فهو تذكير، وبيان، وتبشير، وإنذار، وحديث عن الجنة ونعيمها، وعن النار وعذابها، وقوارع، وعظات، وعبر، وحجج تساق لدحض شبه المشركين ورد باطلهم، وتنبيه وتحذير من مصائر من كفر من السابقين... إلى غير ذلك من المعاني والمقاصد التي تدور في السور المكية، وهو ما يقتضي أن تكون الجمل على هذا النحو من القصر لتقيم الحجة، وتقرع السمع، وتُنبه النفس، وتُحرك الفكر، وذلك من إعجاز القرآني «النفسي، والروحي، والتربوي، والفكري» الذي يأتي بعد إعجاز البيان والنظم الذي نحن بصدده. وقد جاءت هذه الجمل القصيرة المتنوعة في قصرها في «خمسين آية» من السورة، وقد تنوعت ما بين القصيرة جدًا في «كلمة واحدة»، وذلك في موضع واحد في مطلع السورة، والقصيرة من «كلمتين إلى خمس كلمات» في «ثلاث وثلاثين آية»، والمتوسطة من «ست إلى تسع كلمات في ست عشرة آية، وقد توزعت على أحد عشر أفقًا كما سبق، وجاءت الطويلة الممتدة في آيتين: الأولى منهما في خمس عشرة كلمة في سياق الحديث عن تسخير الرياح على "عاد"، وبيان ما آل إليه حالهم وصورتهم بعد العذاب، وجاء ذلك في الآية السابعة من السورة، وفي

(١) المفصل: ما ولي المثاني من قصار السور؛ وسمي بذلك لكثرة الفصول بين السور بالبسملة؛ وقيل لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بـ «المحكم» أيضًا، واختلف في أوله على اثني عشر قولًا: أولها: أنه يبدأ بـ سورة (ق) لحديث أوس بن حذيفة الثقفي في تحزيب الصحابة للقرآن. الإتقان ٢/٤١٣، ٤١٤، ٤١٧

الأفق الثالث. أما عن الآية الثانية في القرائن الطويلة الممتدة، فقد جاءت في إحدى عشرة كلمة في سياق الحديث عمن أوتي كتابه بشماله، وتمنيه أنه لم يؤتاه، وذلك في الآية الخامسة والعشرين في الأفق الثامن من السورة. وطول القرينتين هنا مما يفرضه المشهد وطبيعته في الحديث عن عذاب "عاد"، وموقف من أوتي كتابه بشماله في مشهد القيامة، فهما موقفان ممتلئان بالعظات والعبر، ويستحقان طول الوقوف عندهما، والتأمل في تلك العاقبة كما سبق.

أما عن **الفواصل**: فجاءت ثلاث وعشرون فاصلة منها على «هاء التأنيث»، وست منها على «هاء السكت»، وثلاث على «الهاء»، وهي من الفواصل التي تتناسب مع الحديث عن القيامة، وهلاك الأمم المكذبة بها، ومشاهد القيامة والعذاب... وجاءت أربع فواصل على «الميم» في سياق الحديث عن الإيمان بالله العظيم، والحديث عن «الحميم» الذي يدفع العذاب، والرسول الكريم، وتسبيح الله العظيم؛ فهي من واد واحد. وجاءت خمس عشرة فاصلة منها على «النون» في سياق الحديث عن عدم الحض على طعام المسكين، والغسلين، وطعام الخاطئين، والقسم بالآيات المبصرة وغير المبصرة، وفي نفي الشعر والكهانة عن القرآن، وأن القرآن تنزيل من رب العالمين، وأن الرسول لا يمكن أن يتقول على الله، ولو فرض المحال لجاء العقاب، وما استطاع أحد دفعه، وأن القرآن تذكرة للمتقين، وحسرة على الكافرين، وحق اليقين... وهذا كله من باب واحد...وجاءت فاصلة واحدة على حرف «اللام»، وقد غايرت كل فواصل السورة في الآية الرابعة والأربعين في الأفق الحادي عشر والأخير من السورة؛ وذلك لأنها بصدد الحديث عن فرض المحال، وهو وجود التقول من الرسول للأقاويل؛ ولذا غايرت سائر فواصل السورة، وقد سبق بيان ذلك في موضعه من البحث.

إحصاء عددي بقرائن السورة وفواصلها – قاعدة فواصل السورة «منهل»

الآية	الفاصلة	الكلمات
الأفق الأول: القرائن القصيرة المتنوعة ذات الفواصل المتماثلة والمتكررة: (الحديث عن هول يوم القيامة) – (ثلاث آيات)		
﴿الْحَاقَّةُ ١﴾	القاف مع هاء التأنيث	١
مَا الْحَاقَّةُ﴾ ٢	القاف مع هاء التأنيث	٢
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾	القاف مع هاء التأنيث	٤
الأفق الثاني: القرينة القصيرة المُوَطِّئَة ذات الفاصلة المتوازنة (الحديث عن تكذيب "ثمود" بالقيامة) – (آية واحدة)		
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤﴾	العين مع هاء التأنيث	٤
الأفق الثالث: القرائن القصيرة والطويلة ذات الفواصل المتماثلة: (الحديث عن هلاك ثمود، وعاد، وبيان حال "عاد" بعد الهلاك) – (أربع آيات)		
﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥﴾	الياء مع هاء التأنيث	٤
﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦﴾	الياء مع هاء التأنيث	٦
﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٧﴾	الياء مع هاء التأنيث	١٥
﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨﴾	الياء مع هاء التأنيث	٥
الأفق الرابع: القرينتان المتشاكلتان، والفاصلتان المتوازنتان: (الحديث عن عصيان فرعون ومن قبله وهلاكهم) – (آيتان)		
﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ٩﴾	الهمزة مع هاء التأنيث	٦
﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ١٠﴾	الياء مع هاء التأنيث	٦
الأفق الخامس: القرينتان القصيرتان المتنوعتان، والفاصلتان المتماثلتان: (الحديث عن هلاك قوم نوح، ونجاة المؤمنين) – (آيتان)		
﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ١١﴾	الياء مع هاء التأنيث	٧
﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ١٢﴾	الياء مع هاء التأنيث	٦

الأفق السادس: الجمع بين القرائن القصيرة المتشاكلة، والمتنوعة، ذات الفواصل المتوازية والمتوازنة: (الحديث عن النفخ في الصور، ودك الجبال، ووقوع الواقعة) – (ثلاث آيات).		
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ١٣﴾	الدال مع هاء التأنيث	٦
﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً١٤﴾	الدال مع هاء التأنيث	٦
﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ١٥﴾	العين مع هاء التأنيث	٣
الآية	**الفاصلة**	**الكلمات**
الأفق السابع: القرائن القصيرة المتنوعة ذات الفواصل المتوازية: (الحديث عن انشقاق السماء، والملك الذي يحملون عرش الرحمن، والعرض) – (ثلاث آيات).		
﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ١٦﴾	الياء مع هاء التأنيث	٥
﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ١٧﴾	الياء مع هاء التأنيث	٩
﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ١٨﴾	الياء مع هاء التأنيث	٦
الأفق الثامن: القرائن المتنوعة ذات الفواصل المتوازنة والمتوازية: (الحديث عمن أوتي كتابه بيمينه، ومن أوتي كتابه بشماله) – (إحدى عشرة آية).		
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ١٩﴾	الياء مع هاء السكت	٩
﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ٢٠﴾	الياء مع هاء السكت	٥
﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ٢١﴾	الياء مع هاء التأنيث	٤
﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ٢٢﴾	الياء مع هاء التأنيث	٣
﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ٢٣﴾	الياء مع هاء التأنيث	٢
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ٢٤﴾	الياء مع هاء التأنيث	٨
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ٢٥﴾	الياء مع هاء السكت	١١
﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ٢٦﴾	الياء مع هاء السكت	٤
﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ٢٧﴾	الياء مع هاء التأنيث	٤

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ٢٨﴾	الياء مع هاء السكت	٤
﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ٢٩﴾	الياء مع هاء السكت	٣
الأفق التاسع: القرائن القصيرة المتدرجة ذات الفواصل المتوازية والمطرفة: (الحديث عن العذاب المتصاعد لمن أوتي كتابه بشماله) – (ثلاث آيات).		
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠﴾	الواو مع الهاء	٢
﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١﴾	الواو مع الهاء	٣
﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ٣٢﴾	الواو مع الهاء	٧
الآية	الفاصلة	الكلمات
الأفق العاشر: القرائن القصيرة المتنوعة ذات الفواصل المتوازنة والفاصلة المغايرة: (الحديث عن سبب هلاك من أوتي كتابه بشماله، وطعامه في النار) – (خمس آيات).		
﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ٣٣﴾	الياء مع الميم	٦
﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ٣٤﴾	الياء مع النون	٥
﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ٣٥﴾	الياء مع الميم	٥
﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦﴾	الياء مع النون	٥
﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ٣٧﴾	الواو مع النون	٤
الأفق الحادي عشر والأخير: القرائن القصيرة المتنوعة ذات الفواصل المتنوعة: (بيان أن القرآن تنزيل من رب العالمين، وأنه تذكرة للمتقين، وأنه حق اليقين، والأمر بتسبيح الله العظيم" – (خمس عشرة آية).		
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨﴾	الواو مع النون	٤
﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩﴾	الواو مع النون	٣
﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠﴾	الياء مع الميم	٤
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ٤١﴾	الواو مع النون	٧
﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ٤٢﴾	الواو مع النون	٦
﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٣﴾	الياء مع النون	٤
﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ٤٤﴾	الياء مع اللام	٥

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥﴾	الياء مع النون	٣
﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦﴾	الياء مع النون	٤
﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٧﴾	الياء مع النون	٦
﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ٤٨﴾	الياء مع النون	٣
﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ٤٩﴾	الياء مع النون	٥
﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ٥٠﴾	الياء مع النون	٤
﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١﴾	الياء مع النون	٣
﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٢﴾	الياء مع الميم	٤

خـــاتمة:

اتضح من خلال البحث في «قرائن وفواصل سورة الحاقة» النتائج الآتية:

١- تنوع القرائن في سورة «الحاقة» تنوعًا فرضه المعنى والسياق، وقد جاءت قرائن السورة في غالبها من القرائن القصيرة المتنوعة، والمتشاكلة، وضمت أيضًا قرينتان من القرائن الطويلة الممتدة التي تتسق مع مقاصد السورة في نسق فريد وعجيب.

٢- تنوع الفواصل في السورة بين «المتوازية، والمتوازنة، والمطرفة، والمتماثلة، والمغايرة»، مع تناسبها في الصوت والإيقاع تبعًا للمعنى، مع تكرار بعض الفواصل: كما في الأفق الأول، والسادس، والحادي عشر تأكيدًا للمعنى، ومناسبة للنظم.

٣- توزعت السورة في أحد عشر أفقًا؛ لكل أفق منها سماته الخاصة في جمله وبلاغته بما يتناسب مع مقاصده في نمط فريد، يحكمه التلاؤم والتناسب في كل موضع؛ تبعًا للمشهد والموقف الذي تعرضه السورة، تنوعًا، وتشاكلًا، وامتدادًا، وانحصارًا.

٤- الإعجاز البلاغي في تشكيل وبناء قرائن السورة وفواصلها على نحو لا يصلح غيره للتعبير عن المعنى، مع خصوصية هذا البناء البلاغي المحكم.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإتقان، جلال الدين السيوطي، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ط مطبعة الخانجي، القاهرة، ط١٩٩١م، تحقيق: أحمد شاكر.
- الإعجاز البياني، عائشة عبد الرحمن، ط دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- إعجاز القرآن، الباقلاني، ط دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٤م، تحقيق: السيد صقر.
- إعجاز القرآن، الفواصل، حسين نصار، ط مكتبة مصر، ط١، ١٩٩٩م.
- الأقصى القريب في علم البيان، زين الدين التنوخي، ط مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٢٧هـ، ١٩٠٢م.
- الإيضاح، الخطيب القزويني، ط مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩م.
- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع، ط دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، تحقيق: حفني شرف.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ط دار التراث، القاهرة، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزابادي، ط المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: محمد النجار.
- البيان القرآني، محمد رجب البيومي، ط مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، ط مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، تحقيق: عبد السلام هارون.
- تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ، تحقيق: حفني شرف.
- تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط مكتبة الرياض الحديثة، تحقيق: عبد القادر عطا.
- التفسير البسيط، الواحدي، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ، تحقيق: محمد الفوزان.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- تفسير الجلالين، ط مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
- تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري، ط مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، تحقيق: عادل عبد الموجود.
- تفسير النكت والعيون، علي بن حبيب الماوردي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: السيد عبد الرحيم
- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤١٨) هـ (١٩٩٨) م.
- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي، ط مطبعة عثمان بك، مطبعة سي، استانبول، (١٩٢٨) م.
- تفسير مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ط دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

- جواهر الألفاظ، قدامة بن جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
- حاشية الانتصاف من الكشاف، ابن المنير بهامش الكشاف، ط مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، (١٤١٨) هـ (١٩٩٨) م، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض.
- حاشية الجمل على الجلالين، الفتوحات الإلهية، ط المطبعة العامرة الشرقية، القاهرة، ط ١ (١٣٠٢) هـ.
- حاشية الطيبي على الكشاف، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، شرف الدين الطيبي، ط جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، تحقيق: مجموعة من الباحثين.
- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، عصام الدين بن إسماعيل الحنفي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٤٢٢) هـ (٢٠٠١) م، تحقيق: عبد الله محمود عمر.
- حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٤١٩) هـ، تحقيق: محمد شاهين.
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، محمود الحلبي، ط أمين هندية، القاهرة، ١٣١٥هـ.
- خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، ط دار ومكتبة هلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، تحقيق: عصام شعيتو.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ط دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ.
- دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، عبد الجواد طبق، صـ ٧٢، ط دار الأرقم، القاهرة، ١٤١٣هـ.

- دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، ط عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد القلقشندي، ط المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ، ١٩١٣م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، ط المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.
- عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط دار عمار، الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- الفلك الدائر على المثل السائر، ابن أبي الحديد، ط دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، المخللاتي على ناظمة الزهر للشاطبي، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ط دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ.
- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ط دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
- المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، ط دار نهضة مصر، القاهرة، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة.

- المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز، عبد الرازق موسى، ط مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو زكريا الفراء، ط عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، تحقيق: أحمد شمس الدين.
- المفتاح، أبو يعقوب السكاكي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- مواد البيان، علي بن خلف الكاتب، ط دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م، تحقيق حاتم الضامن.
- مواهب الفتاح، ابن يعقوب المغربي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دائرة المعارف العثمانية، الهند، (١٤٠٤) هـ، تحقيق: محمد الأعظمي.
- النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٣٧٦هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، تحقيق: مفيد قميحة.